عمر لطفي النجار

الشيخ والمريد وشذوذ المنهج الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ مقدمة:

إنه قبل قراءة هذا الكتاب، ومن أجل إدراك ما يعنيه خلقياً واجتماعياً، نحب التذكير ببعض المبادئ التربوية في الإسلام، التي منها:

١ – لا عبودية ولا عبادة بتوحيد لا إله إلا الله، إلا لله وحده.

٢ – لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٣ – كل المسلمون خاضعون لأحكام الشرع أو القانون دون استثناء.

٤ – لا تقرُّب إلى الله بأفضل من الطاعات، وما الدين بما فيه من شرع وعقيدة إلا من الله تعالى ورسوله ﷺ.

٥ – فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد منها لمنع انتشار الرذائل في المجتمع.

٦ – الأولياء نوعان: أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، ومن أخلاق وثمار كل منهما يكون التمييز بينهما.

٧ – لا رهبانية في الإسلام، والزواج ضرورة للاستقرار النفسي للفرد، كما هو ضرورة لاستقرار المجتمع.

وبالمقارنة مع علاقة الشيخ الصوفي مع طلابه أو مريديه، كان لنا ما يلي:

١ – الشيخ هو الرب والإله للمريد، وطاعته هي الأوْلى من طاعة الله.

٢ – الشيخ ينسخ كل ما هو موجود في عقل المريد، لتزويده بما يراه من أصول الطريق وأسرار عقائده.

٣ – الشيخ أب روحي للمريد، وهو الأفضل من والديه.

٤ – المريد عبد للشيخ، فلا حق له بمؤاخذة شيخه مهما فعل، ولا اعتراض على أوامره خلقية كانت أو غير خلقية.

٥ – الشيخ يستثمر المريد ابتداءً من التسول وبما يشاء من الأعمال، انتهاءً بتجريده مما يملك، بحجة أبوته الروحية أو الإغراء بتعجيل الكشف والفتح وجريان الخوارق بين يديه.

٦ – ومن الكبت الجنسي الناتج عن الرهبنة وهجر الزوجات في سبيل الرياضات وبما يثيره الغناء أو السماع في النفس، كان انتشار الشذوذ الجنسي بما في ذلك المثلية والزنا بالحيوانات، إلى حد استخدام هيام الشيخ بالغلام الجميل أو الصبوح من مريديه من أجل الفناء المؤدي للوصول إلى الله!

٧ – الشيخ بما له من معارف وعلوم وخوارق لا علاقة له بالمجتمع إلا من حيث هو وسيلة لا غنى له عنها لتأمين قوته عن طريق الصدقات أو التسول ولا شيء آخر يعنيه.

٨ – وإن تخرَّج المريد من مدرسة الشيخ أو رباطه ونجح، فلا مكان لإجازة شيخه أو شهادته في الحياة، ولا شيء بعدها إلا استعراض قواه الخارقة ليصبح شيخاً لتدريس الخرافات تارة أخرى.

أما أولياء هذا الزمان، ذوي الثياب الفاخرة، والروائح العطرة، والبطن المنتفخ، فلم يعد لهم من تجارة إلا بتوحيد لا فاعل ولا معبود ولا موجود إلا الله، لعلهم يتفوقون به على أنفسهم، وعلى أسلافهم بما كانوا يحلمون به، وبهذا يكون التقاء نقطتي البداية والنهاية في الدائرة الصوفية.

ـ المسلم بين الشيخ الصوفي والشيطان:

المتصوفة كما هو معلوم يفتخرون كثيراً بمنهجهم التربوي، حتى أن أحد المعاصرين منهم قد جعل نهوض أمتنا مشروطاً بإحياء التصوف، وكأنه لا خيار لنا إلا بين الشيطان والشيخ الصوفي، وهذا ما قاله المتصوفة من قبل لاستدراج المريدين إلى طرقهم من جهة، وللحفاظ على بقائهم في التصوف من جهة أخرى، وقد "روي عن أبي يزيد أنه قال: من لم يكن له أستاذ فإمامه شيطان"[١]، والشيخ علي ولده "يقول: من ليس له أستاذ ليس له مولى، ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى"[٢]، والشيخ داود الكبير "كان يقول: من دخل الدنيا ولم يصادف رجلاً كاملاً يربيه خرج منها وهو متلوث ولو كان على عبادة الثقلين" فوجود الشيخ ضروري فـ"سبيل الدين – كما يقول الغزالي – غامض-. ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة"[٣].

الدين إذن غامض، وربما يقصد الدين الصوفي، أم تراه يقصد الدين الإسلامي؟! لا، "فالطريق الصوفي كما يقول المتصوفة، طريق وعر شائك تمتزج فيه البروق الخادعة بالأنوار الإلهية، والخواطر المضللة بالهامات المشرقة، وفيه الاستدراج الخفي والامتحان الرباني، وفيه

[١] ـ ص٧٨ عوارف المعارف، ص١٤٧ ج١ الفتح الإلهي
[٢] ـ ص٣٣ ج٢ الطبقات الكبرى
[٣] ـ ص٧٥ ج٣ إحياء علوم الدين

العوائق النفسية والتيه القلبي والخداع الذوقي، ولهذا اشترط الصوفية جميعاً واتفقوا على أن الشيخ ضرورة في الطريق لا غنى عنه للسالك"[١]. وللنجاة من كل تلك المخاطر لا بد للمريد من شيخ تمرس هذه التجربة "لأن النفس – كما يقول الدقاق – أبداً كثيفة الحجاب عظيمة الأشراك فلا بد من بقاء الرعونات فيها ولا يزول عنها ذلك بالكلية إلا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر"[٢]. أي حكم الشيخ وقهره.

بل وحتى من شهدت له العلوم والمعارف والكرامات ولا شيخ صوفي له، فليس على شيء وما هو إلا موهوم، ولقد "قال أبو عمرو الزجاجي رضي الله عنه: لو أن رجلاً كُشف له عن الغيب ولا يكون له أستاذ، لا يجيء منه شيء. وقال ابراهيم بن شيبان رضي الله عنه: لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ"[٣]. فكل العلوم على اختلافها لا معنى لها إلا إن كان صاحبها مريداً للرياضات على يد شيخ صوفي، حتى و"لو كان أحدهم قد سبقت له من الله عناية لا يؤهل للمشيخة ولو بلغ ما بلغ. لأنه لقيط لا أب له، دعي لا نسب له، فإن يكن له نور فالغالب غلبة الحال عليه"[٤] ليس إلا.

[١] - ص٤٢ الحلاج شهيد التصوف الإسلامي
[٢] - ص١٤٦ ج١ الفتح الإلهي
[٣] - ص١٤٥ ج١ نفسه
[٤] - ص١٤٦ نفسه

لا ثمرة لمن لا شيخ صوفي له "فالشجرة – كما يقول الدقاق – إذا أنبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر"[1]، و"من دخل الدنيا – كما يقول الشيخ داود الكبير – ولم يصادف رجلاً كاملاً يربيه خرج منها وهو متلوث ولو كان على عبادة الثقلين"[2]، "ومن مات – كما يقول الغزالي – بغير شيخ – صوفي – مات ميتة جاهلية"[3] وهو إلى الكفر أقرب.

---

[1] - ص١٤٧ نفسه
[2] - ص١٩٩ ج١ الطبقات الكبرى
[3] - ص٨٧ سر العالمين

ـ الرقعة والعهد بين الشيخ والمريد:

الولاء والإذعان المطلق من ضرورات علاقة المريد بالشيخ، والمرقعة أو الخرقة التي يرتديها المريد من شيخه، إنما هي بمثابة الرمز الكامل لهذا الولاء، "وإذا ما أخذ المريد العهد خلع عليه الشيخ الخرقة أو المرقعة وهي لباس مصنوع من قطع مختلفة من القماش حلَّ فيما بعد محل لباس الصوف الذي كان يلبسه أوائل الصوفية"[١]، وربما تتألف "من الخرق الملقاة على المزابل"[٢]، لأنها شعار الصالحين"[٣] أو الصالحين لطريق التصوف، "فلبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه. فيسلِّم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله ﷺ"[٤]، فالشيخ مع مريديه كالرسول مع أصحابه، "ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله ﷺ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله، قال تعالى: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على

[١] ـ ص٧٨ في التصوف الإسلامي وتاريخه
[٢] ـ ص٢٨ ج٢ الفتح الإلهي
[٣] ـ ص٢٨ نفسه
[٤] ـ ص٧٨ عوارف المعارف

نفسه"[1]، ولبس الخرقة كما يقول السهروردي على نوعين: فـ"الخرقة خرقتان: خرقة الإرادة وخرقة التبرك. فخرقة الإرادة هي للمريد الحقيقي وخرقة التبرك هي للمتشبه، ومن تشبه بقوم فهو منهم"[2]، وبركة الخرقة كما يقولون تعمل في "المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليه السلام"[3] حيث أزال العمى عنه، والشيخ الصوفي بدوره سيزيل الحجب عن عيني المريد الحقيقي لينقله من الظلام إلى النور، والغزالي يحدثنا عن أهمية الخرقة ومهامها وكأنها من مصطلحات الله تعالى، حيث يقول على طريقة أهل الحروف "من لبس المرقَّع وجب عليه أن يؤدي حق حروفه وهي أربعة: فحق الميم المعرفة والمجاهدة والمذلة، وحق الراء الرحمة والرأفة والرياضة والراحة، وحق القاف القناعة والقربة. وحق العين العلم والعمل والعشق والعبودية"[4]، وابن البنا أيضاً يبين لنا الفوائد العشر من لبس المرقعات قائلاً:

"والقوم ما اختاروا المرقعات إلا لأوصاف وسوف تأتِ
أولها فيها إطراح الكبر ومنعها للبرد ثم الحر
وخفة التكليف ثم فيها قلة طمع الطامعين فيها
وذلة النفس وتطويل العمر والصبر ثم الاقتداء بعمر

---

[1] - ص٧٩ نفسه
[2] - ص١٥٤ التصوف بين الحق والخلق
[3] - ص١٥٤ نفسه
[4] - ص٩٦ ج١ منهاج العارفين

ألا تـــــرى لابســـــها كالخاشـــــع فهـــي إذن أقـــرب للتواضـــع" [1]

ومن الملاحظ أن الثياب المرقعة والرقعة والمرقعة، كلها تأتي على نفس الرمز.

- المصدر الإسلامي للخرقة:

المتصوفة كعادتهم يحاولون أيضاً ربط الخرقة بمصدر إسلامي، ويحتجون لذلك بحديث ورد في الصحيح بخاري مفاده: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ألبس بيده أم خالد بنت خالد خميصة سوداء وقال لها: إبلي واخلقي مرتين" [2]، ويحتجون أيضاً بأويس القرني، فتراهم تارة يقولون: إنه "كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها في الفرات ثم يخيطها فيلبسها" [3] مثله في ذلك مثل اليمان بن معاوية الأسود، وتارة أخرى يقولون أن الإمام علي رضي الله عنه ألبس الخرقة إلى "اثنان من كبار الصحابة: سلمان الفارسي وأويس القرني" [4] حتى أن "الشيخ أبا المواهب الشاذلي- كان يقول: لبست خرقة التصوف من رسول الله ﷺ" [5]، وبانتساب الخرقة للرسول ﷺ لا بد يؤدي عندهم إلى الاختلاف في سندها،

---

[1] - ص٢٧ ج٢ الفتح الإلهي
[2] - ص٤٢٦ الصلة بين التصوف والتشيع
[3] - ص٤٢٧ نفسه
[4] - ص٨ من الفكر الصوفي الإيراني
[5] - ص٦ ج٢ إيقاظ الهمم، ص٧٣ ج٢ الطبقات الكبرى

فمن كانت لهم ميول إلى المذهب السني إن صح التعبير جعلوه عن طريق أبي بكر نزولاً إلى شيخ الطريقة، وحيث كان انقطاع الصلة التاريخية بين أبي بكر ومشايخ التصوف، نرى أصحاب هذا الرأي يعتمدون على المنامات في وصول الخرقة منه إلى شيوخهم، والشعراني مثلاً يروي أن الشيخ أبو بكر البطائحي كان "أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخرقة: ثوباً وطاقية في النوم، فاستيقظ فوجدهما عليه"[1]، والشيخ علي بن الهيثي كما يروي أيضاً "كانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأبي بكر بن هوار في النوم، واستيقظ فوجدهما عليه وهما ثوب وطاقية"[2].

أما الذين لهم ميول شيعية فقد جعلوها آتية إليهم من الرسول عن طريق الإمام علي رضي الله عنه، ومن ثم عن يد الحسن البصري، نهاية بشيخ الطريقة، فالرفاعية مثلاً واحدة من الطرق التي انتسبت إلى آل البيت، وخرقتهم "العمامة السوداء"[3] كما هو معلوم، والرفاعي يقول أن خرقته آتية إليه "من سيد المرسلين"[4]. أما تابعه أبو الهدى الصيادي فيوضح الأمر أكثر، وحرصاً على نسب خرقته عمم مصدر الخرقة الصوفية بالإطلاق لا إلى أبي بكر وإنما إلى الإمام علي قائلاً: "وقد ندر

---

[1] - ص١٣٢ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٤٥ نفسه
[3] - ص٢٧٩، ٢٧٥ أشرف الوسائل
[4] - ص٢٧٥ قلادة الجواهر

اتصال خرقة بغيره"[١]، "إلى رسول البرية ﷺ"[٢]، حتى أنه نسب أيضاً خرقة الجنيد إلى الإمام علي"[٣]. ومن أجل عقلنة هذا السند قام الرواس جاعلاً من الحسن البصري صلة الوصل بين الإمام علي والرفاعي رغم إنكار أغلب المؤرخين إلى لقاء الحسن البصري بالإمام علي رضي الله عنهما، ولتجنب هذا الخطأ قالوا بنسبة الخرقة إلى الإمام علي الرضا رضي الله عنه، ومن ثم نسبوها إلى الرسول ﷺ الذي أعطى الرقعة للرفاعي بعد أن صافحه من القبر!

والخضر مصدر آخر على إسلام خرقة أهل التصوف، فعلى سبيل المثال يزعم ابن عربي أن خرقته تنتمي إلى الخضر عن طريق عبد الله بن جامع الذي ألبسه إياها بحضور الشيخ ابن قضيب البان، فالخضر برأيه "يُلبسها إلى أولياء الله بيده"[٤]، وليس هذا فحسب، فقد نسب بعضهم فكرة الخرقة بالأصل إلى جبريل عليه السلام، فالسهروردي في عوارفه يقول: "أن إبراهيم الخليل عندما ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه. فلما مات إبراهيم ورثه إسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب هذا القميص في تعويذة وجعله في عنق يوسف، فكان لا يفارقه، فلما ألقي في

---

[١] - ص٢٦٨ أشرف الوسائل
[٢] - ص٢٦٩ نفسه
[٣] - ص٢٦٧ نفسه
[٤] - ص١٥٥ التصوف بين الحق والخلق

البئر عرياناً جاءه جبريل وألبسه إياه"[1]. وليس ببعيد أن يأتي هذا القميص إلى شيخ الطريقة الصوفية بوسيلة ما من وسائلهم السحرية.

أما أصحاب مقارنة الظواهر فيقولون أن الخرقة الصوفية تعود بمصدرها إلى الهنود، حيث "أن من شرط الانخراط في سلك الجماعات البوذية الزهد بالدنيا وحياة الفقر وحلق الرأس ولبس الخرقة الصفراء"[2]، والسهروردي نفسه يشير في العوارف إلى عدم ارتباط المعنى الصوفي للخرقة بمعناها المرتبط برسول الله ﷺ إن صح التعبير قائلاً: "لبس الخرقة على الهيئة التي يعتبرها الشيوخ في هذا الزمان، لم يكن في زمن رسول الله ﷺ"[3]. فخميصة أم خالد التي لبستها عن الرسول لم تكن للتمييز والشهرة ولا لفكرة التكريس ولا لقذارتها، فأين هي من مرقعة الشيخ ابن الكريني الذي "كان وزن فرد كم له وتخاريصه ثلاثة عشر رطلاً"[4]، وأين هي من الشبلي؟ فقد "كان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً – جديداً – خرق فيه موضعاً"[5]، ويكفينا في هذا الباب ما يقوله ابن عربي من نقد، حيث قال المتصوفة برأيه: "إنما لنا لبس مرقعة خاصة ولم يلحظوا ما أريد بها فتأنقوا في الثياب المطرحة والأعلام للشهرة وخاطوها على وزن معلوم

[1] - ص١٥٤ – ١٥٥ التصوف بين الحق والخلق
[2] - ص١٥٧ نفسه
[3] - ص٤٣٢ الصلة بين التصوف والتشيع
[4] - ص١٨٠ عوارف المعارف
[5] - ص٤٣١ الصلة بين التصوف والتشيع

وترتيب منظوم تساوي مالاً عظيماً وأفسدوا عليها ثياباً وسموها مرقعة فرحم الله سيد هذه الطائفة أبا القاسم الجنيد حيث أنشد لما رأى فساد الحال:

"أهـــل التصـــوف قـــد مضـــوا صـــار التصـــوف مخرقـــة" [1]

وما بالك إذا كان ابن عربي الذي يمثل بمرحلته أوج التصوف يستشهد بالجنيد الذي يمثل البدايات الأولى في إشارته إلى مساوئ التصوف في لبس المرقعات!

---

[1] - ص٦ روح القدس في محاسبة النفس

ـ المريد بين شيخه ووالديه:

لا بد إذن لتمام الطريق الصوفي من شيخ ومريد، وما الشيخ إلا كالوالد ولكن هيهات فالغزالي يقول: "حق المعلِّم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية"[١] وشتان بينهما "فعليك يا ولدي – كما يقول الدسوقي – بطاعة والدك وقدِّمه على والد الجسم فإن والد السر أنفع من والد الظهر"[٢]، فليس أبوك حقيقة – برأي الشيخ علي ولده – إلا من تولدت صورة نفسك عن كشفه وبيانه حتى صارت عقلاً بالفعل، وأما أبو جسمك فهو أبوك مجازاً لأنك ما أنت هذا الجسم بل روحه، فمتى أغفلك – أي منعك – أبو جسمك عن أبي روحك وجب عليك البراءة من أبي جسمك، ولا يحل لك أن تدعى إلى غير أبيك الحقيقي فإن ذلك كفر بفاعله"[٣]. فتبرأ أيها المريد من أبيك وأمك إن منعاك من صحبة الشيخ الصوفي وإلا فأنت كافر لا محالة "واعلم كما يقول الغزالي أن حرمة الشيخ أعظم من حرمة الوالدين والشيخ هو الوالد على الحقيقة والمرشد إلى الطريقة. والمؤدي بك إلى الالتحاق بالملائكة. وأما الوالد فهاجت نيران شهواتهما لقضاء الوطر. بإيجادك عند الوطء"[٤]، وشتان بين ناتج عن شهوة وناتج عن عرفان،

---

[١] ـ ص٥٥ ج١ إحياء علوم الدين
[٢] ـ ص١٨٠ – ١٨١ ج١ الطبقات الكبرى
[٣] ـ ص٥٢ ج٢ الطبقات الكبرى
[٤] ـ ص٨٧ سر العالمين

"فخدمة استاذك – كما يقول الشيخ داود الكبير – مقدمة على خدمة أبيك لأن أباك كدَّرك وأستاذك صفاك وأباك سفَّلك وأستاذك علاك وأباك مزجك بالماء والطين وأستاذك رقاك إلى أعلى عليين"[1]، فعلى المريد أن يسعى للشيخ وإن خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالبلالي والسنوسي- لتقول: وأترك في رضاكم أباً وأماً"[2]، كما قال ابن البنا في شيوخه"[3]، ومثل "ابن سبعين في تفضيله المشايخ على الآباء أيضاً- كمثل كل من السهروردي البغدادي وابن عطاء الله السكندري"[4].

فليس للمريد كما يقول السلمي أن "يسافر بغير رضى الوالدين والأستاذ وبغير إذنهم- هذا إن تحقق أنهم – أي أبواه الجسميان – لا يمنعونه من زيارة الشيخ، وأما إن تحقق أنهم يمنعونه من زيارة شيخ التربية أو من صحبته فلا فائدة من استئذانهم ويسقط عنه استئذانهم حسبما ذكره البلاسي"[5]، "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك علم فلا تطعمها به" هكذا وردت!! والشعراني يروي لنا المثال للمريد المنوذج بقوله: أخبرني الشيخ شمس الدين الطيننحي "أن الفقير كان يأتيه أبوه أو

[1] - ص١٩٩ ج١ الطبقات الكبرى
[2] - ص٧ ج١ إيقاظ الهمم
[3] - ص١٢٦ ج٢ الفتح الإلهي
[4] - ص٤٢٢ ابن سبعين وفلسفته الصوفية
[5] - ص١٢٥ ج٢ الفتح الإلهي

أخوه من البلاد فيقع بصره عليه فلا يقدر يسلِّم عليه حتى يشاور النقيض"[1].

المريد ولد الشيخ منذ الأزل، إنها الأقدار التي لا تعارض، والشيخ جاكير على سبيل المثال "يقول: ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ وأنه من أولادي"[2]، وها هي قصة أخرى تقول في هذا الشأن أن عبد العال عصى أمه ليكون مريداً للشيخ أحمد البدوي، وعندما غضبت الأم أرسل لها الشيخ قوله: "إنه ولدي من يوم قرن الثور، وكانت أم عبد العال قد وضعته في معلف الثور وهو رضيع فططئ الثور ليأكل فدخل قرنه في القماط فشال عبد العال على قرنيه فهاج الثور فلم يقدر أحد على تخليصه منه، فمدَّ سيدي أحمد رضي الله عنه يده وهو بالعراق فخلصه من القرن"[3]. فأية حجة أعظم من هذه على الأم المهملة وهو الحافظ لولدها منذ صغره ليكون مريداً له كما هي مشيئة الأقدار المدونة في اللوح المحفوظ، وربما لأمثال هذه الحجج كان حرص المشايخ على معرفة كل أسرار المريد التي مرَّ بها في حياته.

وكما هي العادة فإن المتصوفة يلجأون إلى القرآن والسنة لتبرير أغراضهم، وإذا ما كانوا هم بنسبهم كما يزعمون من نسل رسول الله

---

[1] - ص٨٨ ج٢ الطبقات الكبرى

[2] - ص١٤٩ ج١ نفسه

[3] - ص١٨٤ ج١ نفسه

ﷺ في العرفان والعلم وورثته فإنهم كما يقولون هم المعنيون بقوله تعالى: "إن شانئك هو الأبتر"[١]، فالشيخ كالرسول تماماً أو أنه خليفة الله تعالى ورسوله ﷺ "فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريدون ظاهراً وباطناً، قال الله تعالى: "أولئك الذين – هكذا وردت – هدى الله فبهداهم اقتده" فالمشايخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم"[٢]، "فصحبة الشيخ والاقتداء به واجب والأصل فيه قوله تعالى: واتبع سبيل من أناب إلي" وقوله تعالى: "وكونوا مع الصادقين"[٣]، والنابلسي أيضاً يفسر قوله تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" "أي من المصدقين بالشيخ المرشد. فالشيخ هو المعني بقوله تعالى: وبالنجم هم يهتدون" وهو المعني بقوله ﷺ: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[٤]. فجميعهم وفق هذا الحديث الموضوع برأي المحدثين على حفظ وعصمة ولا وجود بينهم لبطالين أو مشعوذين!

---

[١] - ص٧٤ عوارف المعارف
[٢] - ص٧٣ نفسه
[٣] - ص٧٤ حقائق عن التصوف
[٤] - ص٢٧٥ التصوف في شعر ابن الفارض

ـ آداب المريد والاستبداد:

إن لعلاقة المريد بشيخه آداب صارمة يعد الخروج عنها بمثابة الكفر، وقد قال شاعرهم مخاطباً المريد:

"وكن عنده كالميت عند مغسّل يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلّم له فيما تراه ولو يكن على غير مشروع فثم مخادع
وفي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع" [1]

وقد جمع ابن عجيبة تلك الآداب بقوله: آداب المريد "ثمانية، أربعة ظاهرة وأربعة باطنة، فأما الظاهرة فأولها: امتثال أمره وإن ظهر له خلافه، واجتناب نهيه وإن كان فيه حتفه، فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد.

٢ ـ السكينة والوقار في الجلوس بين يديه، فلا يضحك بين يديه ولا يرفع صوته ولا يأكل معه ولا بين يديه ولا ينام معه أو قريباً منه. ولا يجلس في موضع جلوسه، ولا يتكلم في مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة.

[1] ـ ص١٤٣ التصوف بين الحق والخلق

٣ – المبادرة إلى خدمته. بنفسه أو بماله أو بقوله، **فخدمة الرجال سبب الوصال"**[١].

٤ – دوام حضور مجلسه. إذ بقدر تكرير الوصول إليه يقرب الوصول إلى الله.

وأما الآداب الباطنة فأولها:

١ – اعتقاد كماله.

٢ – تعظيمه وحفظ حرمته غائباً وحاضراً.

٣ – انعزاله عن عقله ورياسته وعلمه وعمله إلا ما يرد عليه من قبل شيخه . فكل من أتى شيخه في هذه الطريقة الشاذلية فلا بد أن يغتسل من علمه وعمله قبل أن يصل إلى شيخه لينال الشراب الصافي.

٤ – عدم الانتقال عنه إلى غيره. وأما شيوخ الظاهر كالفقهاء والمحدثين مثلاً، فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن إن وجدهم ولا يحتاج إلى إذن"[٢].

وهكذا إذن يتم تجريد المريد من الإرادة والعقل والعلم والمال إن وجد لديه!!

---

[١] - ص١٠٤ ج١ إيقاظ الهمم
[٢] - ص١٠٥ نفسه

ليس للمريد كلام بحضرة شيخه، وإنما "ينبغي للمريد إذا جرت مسألة بين يدي الشيخ أن يسكت، وإن كان عنده- جواب فيها، بل يغتنم ما يفتح الله على لسان شيخه فيقبله ويعمل به، وإن رأى في جوابه نقصاً وقصوراً فلا يرد عليه- ويخفي جميع ذلك في نفسه، ولا يكثر حديثه، ولا يقول أخطأ الشيخ في المسألة ولا يناقض كلامه"[١]، "والخير كله في حق المريد في سكوته"[٢]، "فأحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ"[٣]، والدسوقي يقول: "يجب على المريد أن لا يتكلم إلا بدستور أي بإذن شيخه إن كان جسمه حاضراً. وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب"[٤].

"ولا تنطق يوماً لديه فإن دعا إليه فلا تعدل على الكلم النزر"[٥]
"ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر"[٦]
"ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده فلا قبح إلا دون ذلك فاستقر"[٧]

---

[١] - ص١٦٧ ج٢ الغنية
[٢] - ص١٦٧ ج٢ نفسه
[٣] - ص١٩٩ عوارف المعارف
[٤] - ص٢٧ ج٢ الإبريز، ص١٦٦ ج١ الطبقات الكبرى
[٥] - ص١٣٦ عوارف المعارف
[٦] - ص١٣٨ نفسه
[٧] - ص١٤١ نفسه

إن لتحرك المريد أيضاً آداباً خاصة "فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ حتى يأذن له"[١]، طالما لم يحن فطامه، وفي ذلك يقول "الله تعالى تأديباً للأمة: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم"[٢].

وعلى حركاته أو جوارحه قبل الفطام أو الإذن، أن تكون كما يقول الدباغ لا غاية لها إلا الشيخ "حتى تكون حركاته وسكناته سراً وعلانية حضوراً وغيبة في مصالح ذات الشيخ وما يليق بها، **ولا يبالي بمصالحه ولا بمصالحها"[٣]، فعلى المريد أن يكون مع شيخه كما يرى الدسوقي "على صورة الميت لا حركة ولا كلام ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر"[٤]، "ولا باسطاً – كما يقول الدباغ – سجادة بحضوره"[٥] للصلاة،** "فلا ينبغي له أن يبسط سجادته بين يدي الشيخ – حسب عبد القادر الجيلاني إلا في وقت أداء الصلاة فإذا فرغ من صلاته طوى سجادته في الحال ويكون متهيئاً لخدمة

[١] - ص٥٨ في التصوف الإسلامي وتاريخه
[٢] - ص٧٩ عوارف المعارف
[٣] - ص٧٧ ج٢ الإبريز
[٤] - ص١٨٠ – ١٨١ ج١ الطبقات الكبرى
[٥] - ص١٤٣ ج٢ الإبريز

شيخه ومن هو قاعد على بساطه"[1]، وابن عربي يقول: "وإن كنت في خدمة شيخ فلا تصم ولا تتحرك في شيء إلا بإذنه، والمرأة لا تصوم إلا بإذن زوجها صوم النافلة"[2].

ولا دخول على الشيخ إلا بإذن، فعلى المريد أو الخادم، وهو يسهر على نوم الشيخ، **أن يرقد بالقرب من الخلوة وراء الباب،** إذ قد يحتاج إليه في خدمته- فإذا دخل قبَّل يده ووقف في خشوع أمامه خفيض الرأس، وإذا أمره الشيخ بالجلوس في حضرته، فعليه بالجلوس خارج الحصيرة التي يجلس عليها"[3].

---

[1] - ص١٦٧ ج٢ الغنية
[2] - ص٥٠١ ج٤ بـ٥٦٠ الفتوحات المكية
[3] - ص١٤٢ ابن عربي حياته ومذهبه

ـ الفناء في الشيخ:

الفناء في الله قمة المجاهدات وثمرتها الأهم في الطريق الصوفي كله، ولن يكون هذا للمريد إلا بعد الفناء في شيخه، فبعد إقدام المريد على المجاهدات في سبيله بكل ما رأينا من الآداب، يأتي الفناء فيه، ومن ثم تأتيه المعارف والكرامات والوصول إلى الله، والمريد بالأصل هو "المريد لا حسب إرادته، بل حسب إرادة الحق"[1]، ولكن عبر شيخه الذي يتربى على يديه.

المريد في حال المحبة التامة لشيخه كما يقول الدباغ سيكون نسخة أخرى طبق الأصل عن الشيخ، فإذا فعل الشيخ شيئاً أو قولاً فإن المريد سيفعل نفس الشيء ويردد نفس القول ولو على مسافة كبيرة تفصل بينهما"[2]، إنه الفناء في الشيخ، أو "الرابطة" حسب مصطلحات الطريقة النقشبندية "فإذا أحب الشيخ المحبة الكاملة، سكن الشيخ معه في ذاته، ويكون بمنزلة الحبلى التي تحمل بولدها"[3]، والشيخ سراج الدين الرفاعي الصيادي يقول: "حقيقة الفناء في الشيخ أن يفني المريد فكره عن غير الشيخ من الخلق، بحيث لا يرى لنفسه شيئاً ولا مالاً ولا أهلاً ولا حضوراً مع أحد ولا خطاباً لأحد ولا خاطراً بأحد ولا التفاتاً لأحد إلا للشيخ

[1] ـ ص٤٩ فلسفة التصوف قدرات وطاقات
[2] ـ ص٧٢ ــ ٧٣ ج٢ الإبريز
[3] ـ ص٧٤ نفسه

بالشيخ، **حتى لو أفنى جميع ما يملك على الشيخ**. وأن يجعل الشيخ محل نظره من العالم، فلا يوجه نظره القلبي والبصري إلا للشيخ. وأن يعتقد أن شيخه مدار العالم وكنز مدد الله وعلى فيض الله في هذا العصر وإمام المرشدين، وبطاعته يصل إلى الله، وأن يخلو في أمر خدمة الشيخ من الوساوس والظنون والعوارض السيئة. **ولا يُفتح باب الفتوح لمريد في السلوك إلا بعد ثبوت الفناء في الشيخ**"[١].

فالفناء مشروط إذن بالفناء عن كل ما سوى الشيخ، اعتباراً من العلاقات الاجتماعية نهاية بالأموال والمشاعر حتى وإن كان المريد في جماع مع زوجه فلا بد للشيخ أن يكون موجوداً، "ومن أراد نجابة ولده – كما يقول ابن عربي – فليقم في نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يُحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلاً من وراء حجاب ويتأمل في جماله ويذكر ذلك الجمال أيضاً لامرأته ويستفرغان في النظر إلى حسنه، فإنه إن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد"[٢]. فتحصيل الفناء في الشيخ عند الجماع لا بد من صورته في ذهن الزوجين أو أحدهما أو أن يكون الشيخ موجوداً وراء حجاب وهما

---

[١] - ص٢٩٢ قلادة الجواهر
[٢] - ص٧٣ – ٧٤ ج٢ الكبريت الأحمر

ينظران إليه، أو أن ينظر الزوج إليه ويحدِّث زوجه وهو على بطنها بحسن شيخه وجماله! ونعم التربية!!

على المريد إفراد القصد إلى شيخه غير ملتفت إلى ما سواه من ولد ونفس وأغيار "فالمريد الصادق – كما يقول السهروردي – إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه، يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج. ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفني في الشيخ، بترك اختيار نفسه. ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدباً بترك الاختيار، حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى، ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ"[١]، وإذا ما تبدلت نية المريد على شيخه عندها "تنقطع أسرار الشيخ عن ذاته"[٢] عن ذات المريد.

الفناء معناه "ربط المريد قلبه بالشيخ الكامل"[٣] فإن كان ذلك فبوسعه بعدها انتظار الواردات التي تفيض على قلبه من الشيخ "فاليقظة للواردات التي ترد عليك من صحبة الشيخ لا يراد منها مجرد الانفعال. وإنما لتصير تلك الكيفية ملكة راسخة في نفسك، بحيث لا تتكلف استحضارها،

---

[١] - ص٧٨ عوارف المعارف
[٢] - ص٧٤ ج٢ الإبريز
[٣] - ص٢٤٨ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس

بل تستحضرها متى شئت"[1]، ومتى شئت تستطيع التخاطر معه، "فالرابطة القلبية من المريد بالشيخ الكامل تنتج الفناء في الحق سبحانه من أول قدم إذا كان قلب المريد صافياً نقياً من الأغيار، كامل الاستعداد للاستقبال والتلقي، حيث يسري إليه حال الشيخ فيبدأ من حيث انتهى الشيخ- وقد يقف السالك عن سيره على منهج الرابطة بسبب هفوة تقع منه في حق الشيخ ظاهراً أو باطناً- "ولعلاج أمثال هذه الهفوات كما يقول النابلسي" يفرض المريد صورة شيخه الذي ارتبط به على كتفه الأيمن- وعندها يرجى حصول مقام الفناء"[2]، والشيخ خالد النقشبندي "ينصح من ألمت به كارثة – من مرض أو سواه – أن يتخيل شيخه بأعضائه الجسدية كلها رداء له، ويتمثل أنه يلبس ذلك الرداء عضواً عضواً، حتى يصبح المريد مندرجاً في جسد شيخه عن طريق هذا الخيال فإن الله تعالى يرفع عنه هذه الكارثة عن المريد- وفي الطريقة الخلوتية أيضاً يجب على المريد أن يجعل صورة شيخه بين عينيه، لكي يحصل على ثمرات الذكر كاملة غير منقوصة"[3]. ففي الذكر إذن يجب أن تكون صورة الشيخ في ذهن المريد ومخيلته، وإلا فلا معنى لذكر الله سبحانه وتعالى!

---

[1] - ص٢٥١ نفسه

[2] - ص٢٥٢ نفسه

[3] - ص٢٥٢ – ٢٥٣ نفسه

عند الإخلاص تفيض المعرفة كما يقول السهروردي من الشيخ إلى المريد "كسراج يقتبس من سراج، وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ويكون مقام الشيخ مستودع الحال وينتقل من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال"[١]. فليس لأحد الكرامة والمعرفة بلا شيخ، فقد "ظن أحد المريدين أنه بلغ الكمال، واكتفى بنفسه إزاء الشيخ. وإذ به ينهض من منامه فيرى نفسه على مزبلة بالقرب من عظام، وآخر كان مريداً للجنيد أخطأ فاسود وجهه – حتى رجع إلى شيخه – فعاوده لونه الطبيعي"[٢]، وقصة ذاك الذي فرح برؤياه للرسول ﷺ التي قد تغنيه عن الشيخ، معروفة فقد اكتشف عن طريق برهان شيخه أن شيخه هو الذي أرسل الرسول إليه، فعاد المسكين إلى نفسه بعدها مذموماً مدحوراً ليتوب إلى شيخه التوبة النصوح.

ومن المعاني التي تمثل فناء المريد بالشيخ تجريده من كل ما لديه من الأسرار التي مرَّ بها في حياته كلها أو معرفة ما لديه من أسرار ونوايا في خلده وسره، وللقوم أساليبهم في التعرف إلى ذلك كله، فمن أجل الحفاظ على إخلاص المريد سراً وعلانية قالوا: إن الشيخ "يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر"[٣]، ولا نجاة للمريد عندها بغير الإخلاص

[١] - ص٤٣٣ – ٤٣٤ الصلة بين التصوف والتشيع
[٢] - ص٢٤٠ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[٣] - ص١٠٦ ج٢ الإبريز

فلا تعترض أيها المريد ولا تتظاهر كاذباً بالموافقة على عقائد الشيخ، "فالأولياء والصديقين – كما يقول النابلسي – يحسون بخواطر الناس في الاعتقاد والانتقاد ويؤاخذون المريد بالخواطر"[1]. إلا أن أصحاب ملكة التخاطر عند الوسطاء الروحيون في أيامنا لا يسعون لاغتصاب كرامة الآخرين كالذي يفعله الأولياء مع مريديهم وهم على نفس الموهبة.

أما الشيخ أبو العباس المرسي فقد جوَّز "للمريدين إخبار الأستاذ بما في بواطنهم من أسرار إذ الأستاذ كالطبيب وحال المريد كالعورة والعورة قد تبدو للطبيب لضرورة التداوي"[2]. ولولا أن القضية قضية إرغام المريد على الإخلاص والسيطرة عليه لكان فعلهم أشبه ما يكون بعقيدة الاعتراف عند النصارى.

---

[1] - ص١٣١ التصوف الإسلامي في شعر ابن الفارض

[2] - ص١٦ ج٢ الطبقات الكبرى

- لا اعتراض بالشرع على المعصية ولا خروج عن الشيخ:

لقد رأينا عند الحديث عن الفضائل الإسلامية في الفكر الصوفي الحرص الصوفي الشديد لإلغاء فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا الباب البيان الأكثر لسر هذه المسألة عند القوم، فالشيخ وهو صاحب العرفان والعلم اللدني والواصل إلى الله لا يجب أن يعترض عليه أحد أياً كان مريداً أو غير مريد حتى ولو كان الاعتراض بشريعة الأنبياء، لأن شأنه في هذا شأن الخضر عليه السلام مع موسى النبي.

فلا اعتراض على معصية الشيخ وجهله "ويقول الإمام السهروردي بهذه المناسبة: وينبغي للمريد إذا أشكل عليه شيء من حال الشيخ أن يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، ولما أخبره بسرها رجع موسى عن إنكاره. فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة"[١].

فأفعال الشيخ قد تتراءى إلى عينيك في الظاهر أو لجهلك بالحقيقة أنها من المعاصي، "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" ولكنها الأسرار التي إن تم إدراكها فلا معصية على الحقيقة، بل وإن أمرك الشيخ بالمعاصي فليس لك إلا الطاعة، والغزالي يقول: ومهما أمر الشيخ مريده "بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه، فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه

---

[١] - ص١٤٠ الخضر

في نفسه- وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليه السلام حيث قال الخضر "إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" ثم شرط عليه السكون والتسليم- ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما. وبالجملة: كل متعلم استبقى لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران"[1]. والشيخ عبد القادر الجيلاني في "فتوح الغيب" يصرخ بملء فيه على المريد منشداً:

"ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع
كذلك علم القوم فيه بدائع"[2]

واعلم كما يقول: إن مخالفة الشيوخ سم قاتل فيها مضرة عامة فلا يخالفه بتصريح ولا بتأويل"[3]، "ومن قال لمَ؟ لم يفلح أبداً"[4]، فعليك أيها المريد أن "تتبعهم وتوافقهم في جميع الأحوال"[5]، حتى "وإن علم خطأه"[6] على حد تعبير الغزالي، والشيخ علي المرصفي يقول: "ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظه وهجره له، بل ذلك من سوء الأدب. وكان

---

[1] - ص٥٠ – ٥١ ج١ إحياء علوم الدين
[2] - ص٦٨ حقائق عن التصوف
[3] - ص١٦٨ ج٢ الغنية
[4] - ص٩٦ حقائق عن التصوف
[5] - ص١٦١ الفتح الرباني
[6] - ص١٧٢ أيها الولد

رضي الله عنه يقول: لا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عن نفسه أبداً إذا لطخه شيخه بذنب لأنه يرى ما لا يرى المريد فإنه طبيب"[1]. فلا اعتراض للمريد على شيخه وإن اتهمه بذنب من الذنوب كالقتل والزنا رغم براءته فإنه يرى ما لا يراه المريد، "فيجب أن لا يخالف المريد أحداً – من المشايخ – وإن علم أن الحق معه يسكت ويُظهر الوفاق لكل واحد منهم"[2]، "فالواجب عليه كما يقول عبد القادر الجيلاني ترك مخالفة شيخه في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن- وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة ولا يصرِّح به لئلا ينفر به عليه، وإن رأى فيه عيباً من العيوب ستره عليه، **ويعود بالتهمة على نفسه، ويتأول للشيخ في الشرع فإن لم يجد له عذراً في الشرع استغفر للشيخ**- ولا يعتقد فيه العصمة ولا يخبر أحداً به"[3]. فإن رأيت أيها المريد سلوك شيخك لا يوافق الشرع فاتهم نفسك وكذب نظرك وتأول له بما يبرئه وإياك أن تخبر أحداً بمعاصيه حتى وإن ترك التكاليف وإن زنى وسرق، فالشيخ لا يُسأل عما يفعل، إن لم يكن متقمصاً للألوهية التي نسبها إلى نفسه في الكثير من أحواله.

---

[1] - ص١٢٨ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٨٣ الرسالة القشيرية
[3] - ص١٦٤ ج٢ الغنية

غير جائز الاعتراض على الشيخ ومنازعته لا بللسان ولا بالجوارح ولا بالظاهر والباطن بل ولا تجوز المعارضة حتى بالأحلام، والشيخ أبو علي الفارمذي يقول: "حكيت لشيخي أبي القاسم الكرماني مناماً لي. وقلت: رأيتك قلت لي كذا فقلت: لم ذاك؟ قال: فهجرني شهراً ولم يكلمني. وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم"[١].

فالمريد على الحقيقة هو المطيع "الطاعة المطلقة في كل ما يأمر به – الشيخ – حتى ولو خُيِّل للمريد أنه مأمور بشيء يخالف ظاهر الشرع"[٢]. ولكن المصيبة الاجتماعية أن مشايخ التصوف يحبون الغلمان الحسان وصحبة النسوان، واسمع إلى هذه القصة التي يرويها المتصوفة في صياغتهم للمريد النموذج، فقد "حكي أن مريداً رأى شيخه يزني بامرأة، فلم يتغير عن خدمته- وعندما سأله الشيخ عن حال شكه. فقال: الإنسان متعرض لمجاري أقدار الله تعالى، وإني ما خدمتك على أنك معصوم، وإنما خدمتك على أنك عارف بطريق الله تعالى- فقال له الشيخ: وفقت وسعدت، هكذا، وإلا فلا"[٣]. فليست المعصية إذن مما يعيب العارف بطريق الله، فالمعرفة شيء والطاعة والمعصية شيء آخر! وبقي

---

[١] - ص١٧٨ ج٤ إحياء علوم الدين
[٢] - ص٢٥٦ التصوف الثورة الروحية في الإسلام
[٣] - ص٢١٩ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس

الشيخ في نظره عارفاً يجب اتباعه وإن زنى، وهكذا يكون المريد موفقاً سعيداً.

سكوت المريد على معاصي شيخه وعدم الاعتراض عليه من أسباب وصوله إلى الله عز وجل، فالمريد "عبد العلي" مثلاً قصد شيخاً ليأخذ عنه الطريق وإذ به فاجر وسكير وداعر، فأطاعه وأذعن له في كل تعاليمه وأنفق عليه كل أمواله، واتفق أن شيخاً آخر علم بلدنياته وهو على الاحتضار بقصة هذا المريد المخلص مع شيخه البطال، فجعله وارثاً له مكافأة على صبره "فخرجت روح الولي، واتصل سيدي "عبد العلي" بالسر"[١]. وأصبح المريد ولياً على هذا الأساس!!

لا تعترض على جهل الشيخ ومعاصيه، واتهم نفسك بما تراه وتسمع، واعلم بأن خطأ الشيخ أفضل ألف مرة من صواب المريد، وإذا ما كان الرياء مثلاً منقصة وخطأ فاعلم كما يقول القشيري: بأن رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين"[٢]، وعلى المريد الاعتقاد أن "خطأ معلمه – أو شيخه كما يقول الغزالي – خير من صواب نفسه"[٣]، أو "ليعلم

---

[١] - ص٨١ ج٢ الإبريز
[٢] - ص٧٠ عوارف المعارف
[٣] - ص٨٩ ميزان العمل

أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ، أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب"[١].

[١] - ص٧٦ ج٣ إحياء علوم الدين

ـ المعترض معاقب:

المعارضة تنازُع، ومن نازع شيخه فقد كرهه، حيث أن "علامة المحبة الصافية – كما يقول الدباغ – سقوط الميزان من المريد على الشيخ ومن جوَّز أن الشيخ على غير صواب فقد سقط على أم رأسه، ودخل في زمرة الكاذبين"[١]، وها هو الدباغ يضرب المثل بنفسه ممتحناً مريده قائلاً له: "فإن قالوا لك إني رجعت عاصياً أرتكب المخالفات ولا أبالي، أتبقى على محبتك؟ قال المريد: نعم! قال الشيخ: وإن مرَّت علي وأنا على ذلك سنة ثم سنة، إلى أن عد عشرين سنة. قال: نعم، ولا يدخلني شك ولا ارتياب"[٢]. فلو عاش الشيخ على المعصية عشرين سنة لا اتهاماً وبهتاناً فحسب، وإنما بالفعل والحال، فيجب على المريد أن يبقى على محبته والولاء له دونما شك، وإلا فإنه غير جدير بمعرفة الله.

معارضة المريد لشيخه نقض لعهده معه وإلقاء للخرقة في وجهه، فمن صحب شيخاً من الشيوخ – كما يقول أبو علي الدقاق – ثم اعترض عليه بقلبه نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة"[٣]، ومن "لم يحفظ قلوب المشايخ – كما يقول الشيخ جعفر الخلدي – سلط عليه كلب يؤذيه"[٤]. ولعله أن يكون كلباً من كلاب التخييل! فالمعارضة لا تجوز ولو

[١] ـ ص٧٧ ج٢ الإبريز
[٢] ـ ص٧٨ نفسه
[٣] ـ ص١٥٠ الرسالة القشيرية
[٤] ـ ص١٥٠ – ١٥١ نفسه

أمر الشيخ بالمنكر، وذات مرة كان شقيق البلخي وأبو تراب النخشبي وأبو يزيد البسطامي جالسون "وشاب يخدم أبا يزيد، فقالا له: كل معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر. فأبى. فقال شقيق: كل ولك أجر صوم سنة فأبى. فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى. فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده"[١]. فبعد سنة إذن انتقم الله لأوليائه ونوابه في إعطاء الأجر من رجل أصرَّ على أجره من الله دون سواه!

الشيخ هو الشرع وما الدين إلا طاعة رجل، ومن قال لأستاذه لمَ لَمْ يفلح أبداً"[٢] وإلا فالعقاب والانتقام، ويقول أبو العباس الشريشي الفاسي:

"ولا تعترض يوماً عليه فإنه كفيل بتشتيت المريد على هجر"[٣]

وإياك أن تغتر بالصوم والصلاة ظناً أن العبادات فيها الغنى عن الشيخ للوصول إلى الله عز وجل وطلب رضاه.

"ومن يكن معارضاً منافراً لو صام كل الدهر لم يتصل"[٤]

---

[١] - ص١٥١ الرسالة القشيرية
[٢] - ص١٥٠ نفسه
[٣] - ص١٢٨ ج٢ الإبريز
[٤] - ص١٠ أشرف الوسائل

فلا اتصال للمريد بالله أو الوصول إليه إلا بطاعة شيخه الصوفي ولو كان زنديقاً وضالاً وفاسد العقيدة.

ـ المريد بين العصمة واختلاف العقائد:

إذا كانت العصمة أصولاً للأنبياء، وإذا كان الشيخ يمثل مع مريده دور المعصوم مع كل حالة من أحواله، فهذا معناه تساؤل المريد عن علاقة الشيخ بعقائد وشرائع النبوة، ومن أجل مصادرة المشايخ لأمثال هذا التضارب، جردوا المريد من الإرادة ومن كل الموجود أو المعلوم لديه عقيدة كان أو شريعة، إضافة إلى الوعود بالكرامات والمعرفة التي لا بد لها من الاختلاف مع ما هو معروف لديه عن طريق النبوة، وإن صدَّق بهذا كله اصطحبوه إلى الله، وإن كان الوصول إلى الله عن طريق الحلول والاتحاد وإلى ما هنالك، بعدها لا بد يعتقد بتوحيد لا موجود ولا معبود ولا فاعل إلا الله، عندها يكون مؤهلاً للمشيخة في معارضة الأنبياء بتجربته التي زودته باليقين المطلق حسب زعمه، وربما يموت قبل معرفته بالأحبولة التي سقط في براثنها، ولو فكر جيداً، دون نسيانه لإبليس لعرف أن هذا التوحيد لم يكن إلا لتبرئة إبليس من معصيته لله سبحانه وتعالى علماً أن حلول الأرواح حسب الوسطاء أو الشياطين حسب المصطلح الديني، أو اتحادهما بالأجساد لاستخدام أعضائها في الأفعال والنطق أمر مألوف ومعروف عندهم، تحت مصطلح "الهيمنة الصريح" ودون حاجتهم للإسرار أو الأكاذيب والعصمة وإلى ما هنالك.

ومن باب الحديث عن الحفظ أو العصمة لأولياء التصوف، أجاب الجنيد بعد تأمل عميق عن سؤال: أيزني العارف؟ بقوله: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وقوله هذا على ظاهره يقر بعدم عصمة الولي الصوفي، أما إن كان المعنى أن الشيخ لا يفعل شيئاً إلا بأمر الله أو بالجبر وطاعة لوح القدر، فجوابه يعني أن العارف بالمكتوب أو المقدر معصوم بالأمر الإلهي أو بطاعته للمكتوب عليه، وإن عصى أو زنى وسرق، والسهروردي يقول: "وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ- لا يتكلم بهوى النفس- والشيخ فيما يجري على لسانه راقد النفس فيكون لما يجريه الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعاً كأحد المستمعين. وكان الشيخ أبو سعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقى إليه، وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم"[١]. أي: إن الله هو المتكلم بلسانه أو المهمين عليه، والكل سامعون له بما فيهم صاحب اللسان نفسه! وهل يعقل عندها أن يكون الله بلا عصمة؟! لا، وها هو الشيخ أبو الحسن الششتري يقول: "ولا يُعترض على المشايخ فيما يصنعون، فإنهم لا يتصرفون إلا عن إذن وبصيرة"[٢]، "فللشيخ في كل شي عذر"[٣] كما يقول السهروردي أيضاً: "وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد

---

[١] - ص١٩٩ عوارف المعارف
[٢] - ص١٣٠ ج٢ الإبريز
[٣] - ص٢٠١ عوارف المعارف

والصواب"[1]، فالشيخ كالنبي ولكل منهما شرعه الذي عن ربه، "فمن شرط المريد – كما يقول ابن عربي – أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبيِّنة منه، ولا يزن أحواله بميزانه"[2] أو بميزان النبوة. فالواصل أو العارف معذور بما كشف له، إنه على شريعة من ربه، يأتمر بأمره وينتهي بنهيه ولا خضوع له بذلك لموازين الشرع، وإن كانت أفعاله منافية له، فكل أفعاله على صواب بما أن الله قد يأمر وليه باجتراح المعاصي وعندها لا تمييز بين الطاعة والمعصية ولا وجود طبعاً لهذا التمييز في عقيدة الجبر التي آمنوا بها.

وطالما أن التصوف منهج يسعى لربط البداية بالنهاية فلا بد له أن يخاطب الناس تبعاً لمراتبهم أو مقاماتهم والعصمة عندها ستعني من ضمن ما تعنيه الحفظ أو حسن الظن، وبحسن الظن يكون امتصاص نفور العوام والمريدين، وبالحفظ يكون كف ألسنة الحاقدين والنقاد، ولذلك قالوا: على المريد "أن لا يعتقد في شيخه العصمة"[3] ولكن لا اعتراض عليه إن أخطأ "فلا ينبغي للمريد أن يعتقد بالمشايخ العصمة بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن"[4] ولو كانوا على المعصية. "فإن الشيخ وإن

[1] - ص٨١ نفسه
[2] - ص١٣٠ ج٢ الإبريز
[3] - ص٩٦ حقائق عن التصوف
[4] - ص١٨٤ الرسالة القشيرية

كان على أكمل الحالات فليس بمعصوم"[1]، "ولكن لا ينبغي للمريد حين يعتقد بشيخه عدم العصمة أن يضع بين عينيه دائماً احتمال خطأ شيخه"[2]. فعليه أن يعلم أن شيخه في مرتبة لا تنالها أحكام المرتبة الدنيا، وتلك هي المسألة الأهم وإلا فما المعنى من عدم الاعتقاد بعصمة الأولياء ومن ثم الامتناع عن مؤاخذتهم أو محاسبتهم.

السالكون مراتب ودرجات ولكل شيء ظاهر وباطن فما تراه بعينيك أيها المريد هو مختلف في حقيقته التي بالباطن، فلا تعترض طالما أنت بعيد عن الأسرار والحقائق، فابن عربي على سبيل المثال حسبما يروي الدباغ يقول: "لا تزن أحوال شيخك أيها المريد بما لديك من موازين شرعية فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة فيجب التسليم وكم من رجل أخذ كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه، وقَلَبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً"[3]. فقدرة الله لا تحد، وسبحان من له قلب الأعيان، فكيف لكم الاعتراض بالشرع ولا إدراك لكم إلا للظاهر البعيد عن الحقيقة، فالخمر يصبح عسلاً في أفواه الأولياء أم تراكم قد نسيتم الخضر عليه السلام! إلا أن الرسول ﷺ قد لعن حامل الخمر وشاربه

[1] - ص٩٦ حقائق عن التصوف
[2] - ص٩٧ نفسه
[3] - ص١٣٠ ج٢ الإبريز

وبائعه وجاره إن رضي به، فما بالك بالجالس على موائد الخمر وقد حمل كؤوسه قبل أن تصبح في فمه عسلاً!

وللدباغ أقوال كثيرة على هذا المنوال، ولا غرض لها إلا تجريد المريدين من العقول والأحكام الشرعية والخلقية حيث يقول على سبيل المثال: "إن الولي الكبير يعصي وهو ليس بعاص وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية، لأنها إذا أكلت حراماً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت- تلك "كرامة" فإذا رأيت الولي الكبير عليه كرامة فاشهد الحاضرين بأن الله تعالى أراد بهم الخير، أو معصية فاشهد بشقاوتهم"[1].

فمن كرامات الأولياء إذن جلوسهم على موائد المنكر دونما أن تنالهم المعصية، وما هذه الكرامة إلا لامتحان الخلق، فإن سلموا بعصمة الولي نجوا وإلا فهم من أهل الشقاء إن اتهموه بالمعاصي، فكيف يكون الولي عاصياً ولا وجود على موائد المنكر إلا لروحه التي تقذف الحرام أو الخمر بعيداً عن تناوله، ولو عرف المنكر هذا، لما أنكر عليه!

الأولياء في معاصيهم ذوي أسرار، واعلم كما يقول: "أن الولي قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي، فيستعمل أموراً

[1] - ص١٠٨ ج٢ الإبريز

ترده إلى حسه. من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما"[1]، "فيترك ستر عورته – مثلاً – لما هو أولى منه لأن أقوى المصلحتين يجب ارتكابه"[2]. وكل ما يردُّ الذات إلى عالمها الحسي ويرد عليها عقلها "يؤخذ به"، فإذا كان كشف العورة يوجب ذلك لشخص ارتكبه. وكذلك التكلم بالمجون"[3] واجب لهكذا غرض، "فإذا رأيتهم – أي الأولياء – يستعملون شيئاً من المجون والضحك ونحوهما مما يردُ عليهم عقولهم ويحفظ بقاء ذواتهم فلا تبادر بالإنكار عليهم"[4].

فإذا ما شعر الشيخ بذوبان ذاته الترابية في الله أو الملأ الأعلى الشريف أو بإزعاج لا يحتمل من الملائكة، فلا بأس عليه من ارتكاب الموبقات والمعاصي ابتداءً من كشف العورة نهاية بشرب الخمر والمجون، وعندها فقط ستنفر منه الكائنات الشريفة بما فيهم الله نفسه والملائكة ليعود الصوفي إلى ذاته الترابية التي يخشى عليها من الخطر أو التلف، فالصوفي يرتكب المعصية لا لأنها معصية، بل لأنها الدواء الذي لا بد منه، ولا إثم عليه!! والشيخ عبد القادر الجيلاني اعتبر هو الآخر معصية العارف على أنها "فصلاً بين حالين"[5] أو للفصل بين حالين.

---

[1] - ص١٠٨ ج٢ نفسه
[2] - ص١٠٩ نفسه
[3] - ص١١٠ نفسه
[4] - ص١١٠ نفسه
[5] - ص١٦٤ ج٢ الغنية

معصية الشيخ في الظاهر ليست بمعصية على الحقيقة أو في الباطن، لأن الله يجريها على أيدي أوليائه أو يأمرهم بها امتحاناً للناس بها، فيجب كما يقول النابلسي "ألا ينكر المريد على شيخه فعلاً من أفعاله ظاهراً أو باطناً مطلقاً ويعد خطرات وهمه ذنوباً يستغفر الله منها لأن شيخه بيد الله، والله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، ولكنه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره"[١] لمعرفة أعدائه أو أعداء أوليائه.

والدباغ يقول أيضاً: "إن الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين ونياتهم، فمن صفت نيته رآه في عين الكمال وظهر له من الخوارق ما يسره، ومن خبث نيته كان على الضد من ذلك"[٢]، "فليرجع – صاحب الاتهام – على نفسه"[٣]. فليس هناك من معاصي بالفعل وإنما هو المكر الخفي فالولي يتلون حسب نوايا الجالسين معه اختباراً لهم، فمن كانت نيته سليمة رآه على الاستقامة، ومن كان خبيثاً رآه على المعصية، وإن جاهر عندها بما رآه فقد فضح نفسه وشهد بعدم أهليته لصحبة الأولياء الجاهل لمعنى "شُبِّه لهم" حيث لا معصية بالأصل ولا وجود لها وإنما خُيِّل لهم أنها معصية!

---

[١] - ص٢٣١ التصوف بين الأصالة والاقتباس
[٢] - ص١٠٥ ج٢ الإبريز
[٣] - ص١٠٦ نفسه

المعصية التي يجريها الله على أوليائه إنما يستخدمها سبحانه مكراً وفتنة بأعدائه، "فإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي، سخره الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة. فيجلسه مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم، فيظنون أنه شارب الخمر، وإنما تصورت روحه في الصور وأظهرت ما أظهرت، وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته. فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون"[1]. وما الحيلة إن أراد الله المكر بالمنافقين ليجردهم من الولي الذي فيه نفعهم؟! فحتى لا يرد الله طلب الولي لخيرهم حجبه عنهم بالمعاصي، ولهذا أجلس روحه أو ظله مع السكارى والغانيات والزنادقة، فإن رأوا ظله على المنكر انصرفوا عن طلب الخير منه، فسبحان الله! ولكن عن أي إله يتحدث هؤلاء؟!

الشيخ يستخدم المعصية رحمة بمريديه حتى لا يعتقدوا بعصمته، والدباغ يقول عن أحد المشايخ الزناة: لقد "أظهر الله على الشيخ صورة معصية الزنا رحمة بالمريد المذكور، فلما رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد – بعصمته – ونزَّل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد"[2]. فاعتقاد المريد بعصمة شيخه كان يحجبه عن الفتح والوصول إلى الله!

[1] - ص١٠٦ ج٢ نفسه
[2] - ص١٠٥ ج٢ نفسه

وبمعنى آخر لما رأى المريد الشيخ على الزنا فتح له الشيخ باباً من أبواب الكشف أو الوصول، حتى رضي عما رآه منه.

لا عصيان للشيخ وإنما الشيطان يتمثل بصورته ليكون فتنة للمريد، فإذا "صار – المريد كما يقول النابلسي – يريد صورة شيخه لا الله تعالى، كان لا شيخ له وكان شيخه الشيطان وشهد غير باب الله- فقيض الله له شيطاناً هو صورة شيخه في بصيرته من اعتقاد- وهو يحسب أنه يهديه"[١].

فالله إذن يستخدم الشيطان على هيئة الشيخ ليضل به المريد مكراً، والمريد المسكين يظن أن شيخه هو الذي يزني ويرتكب الموبقات الجسدية والاعتقادية وما عرف أنه الشيطان وقد تمثل بصورة شيخه، ولعله قد حل واتحد بالشيخ استخداماً لجسده فيما أراد!

ليس من معصية للشيخ إلا في الظاهر، وها هم المريدون حسب رواية الدباغ الرفاعي الطريقة، يرون امرأة تدخل إلى خلوة الشيخ وقد راح يزني بها، ففروا جميعاً عنه إلا واحداً منهم انطلق لتجهيز الماء الساخن ليغتسل الشيخ من جنابته وعند خروجه من الخلوة قال لهذا المريد: "يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة، وأنا فعلت ذلك عمداً – أي زنى بها أمام مريديه – لينقطع عني أولئك القوم، فادخل يا ولدي

[١] - ص٢٢٩ – ٢٣٠ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس

معي الخلوة فهل ترى امرأة فيها؟ فدخل فلم يجد امرأة"[1]. فكم هو مظلوم ذلك الشيخ الذي يزني بالدنيا التي تمثلت له على هيئة امرأة جميلة، أو ربما أن خلوته مجهزة بالسراديب والدهاليز التي تخفى على السذج، أو أن الشيخ ساحراً من أصحاب التخييل والله أعلم!

وإذا كان الله برأي المتصوفة يستخدم المعاصي كيداً بالخلق، كذلك فإن الشيخ يستخدمها امتحاناً لمريديه للتعرف على إخلاصهم، فإذا ما رأيت أيها المريد شيخك على حال من المعصية أو إن أمرك بمعصية فاعلم أنه يمتحنك، وما عليك حينئذ إلا الطاعة والصمت على مالم تحط به خبرا، والدباغ يروي لأصحابه في الطريقة الرفاعية حكاية تقول: إن شيخاً أمر مريده أن يقتل أباه الجسمي ففعل ما أمر به وإذ برأس المقتول ليس رأس والده وإنما هو على الحقيقة رأس رجل يزني بأمه"[2]. فأوامر الشيخ المنكرة في الظاهر لا إنكار لها في شريعة الباطن ولا هي منكرة. وها هي حكاية أخرى من الحكايات الرفاعية التي توضح منهجهم في إخراج المريدين عن الشرع الإسلامي بحجة الامتحان والأسرار والباطن وإلى ما هنالك، ولما طلب الشيخ امتحان المريد للتعرف على مدى طاعته "فأشهده الله تعالى – أي للمريد – من شيخه أموراً كثيرة منكرة ومع ذلك فلم يتحرك له وسواس. فلما مات شيخه، وفتح الله عليه – أي على المريد

---

[1] - ص٨٤ ج٢ الإبريز

[2] - ص٨١ – ٨٢ ج٢ الإبريز

– شاهد تلك الأمور – المنكرة – وعلم أن الصواب مع الشيخ فيها وليس فيها ما ينكر شرعاً إلا أنها اشتبهت عليه"[1] تماماً كاشتباه الأمور على موسى مع الخضر! ومن جملة ما امتحنه به أنه أراه حاله على زنى بامرأة يعرفها المريد، وإذ يكتشف فيما بعد أنها زوجة الشيخ التي هي على الحقيقة تشبه تلك المرأة شبهاً عظيماً، وامتحنه بذلك أيضاً بماء الفلنيص على أنه خمر يشربه وما هو بخمر. وامتحن شيخ آخر مريده قبل أن يعطيه السر **بتخييل** أنه قتل أحد مريديه وعندما أفشى المريد سره عرف بعدها بأن الذبيح ليس إلا كبشاً فباء المسكين بالخذلان ولم ينل سر شيخه"[2].

والشيخ شمس الدين الأبوصيري قال "لم يزل الشيخ أبو سعود الجارحي يمتحنني إلى أن مات، وأراني ضرب المقارع على أجنابه من الدعاوي التي كان يدعيها عليه عند الحكام. قال: وكنت أعترف عند الحكام إيثاراً لجناب الشيخ أن يُردَّ قوله. فإذا قال: هذا زنى بجاريتي. أقول: نعم. أو يقول: هذا أراد الليل أن يقتلني. أقول: نعم. أو يقول: هذا سرق مالي. أقول: نعم"[3]. فأنعم بهكذا مريد وبهكذا تربية. بل ومن واجب المريد أيضاً "ألا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من

[1] - ص٨٣ ج٢ الإبريز
[2] - ص٨٦ – ٨٧ نفسه
[3] - ص١٣٠ ج٢ الطبقات الكبرى

الشيخ ما لا يعلمه المريد ويكون مراد الشيخ بذلك امتحان المريد حينئذ بالأمور الصعبة في المحن كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه. ومع ذلك أن الامرأة امرأة الشيخ وزوجته وجعلها امتحاناً للمريد"[1]. فمن الجائز لمشايخ التصوف إذن أن يطأوا نساءهم أمام الآخرين ولا إنكار عليهم.

لا اعتراض على الشيخ ولو أمر بمعصية فلا تخشى شيئاً أيها المريد ولو كان في ظاهر الأمر هلاكك، وهل يخشى شيئاً من كان موقناً بشيخه؟ فقد "كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد أن لا يخالفه في شيء يأمره به، فجاء يوماً وهو يتكلم في المجلس فقال: إن التنور قد سجرناه فما تأمرنا؟ فما أجابه. فأعاد مرة أو مرتين. فقال له في الثالثة: اذهب واقعد فيه! ففعل ذلك. فقال أبو سليمان: الحقوه فإن بيني وبيني عقداً أن لا يخالفني في شيء آمره به. فقام وقاموا معه فجاءوا إلى التنور فوجدوه قاعداً في وسطه، فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش"[2].

وماذا بعد استواء الطاعة والمعصية في نظر المريد عبر فكرتي الباطن والاختبار، وماذا بعد القضاء على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال التسليم للمشايخ والإيمان بعصمتهم، وماذا بعد إسقاط الموازين الشرعية عن الأحكام بفعل الخوارق؟ عندها وعندها فقط

---

[1] - ص٢٧٨ قلادة الجواهر
[2] - ص٣٥١ تلبيس إبليس

يصبح المريد أهلاً للأخذ بعقائد الشيخ وأسراره البعيدة كل البعد عما كان يعرفه من عقائد وتشريع وتلك هي الغاية القصوى لكل بنود المنهج الصوفي في اتصال المراتب أو المقامات، وكل ذلك بزعمهم لحماية المسلم من الشيطان، ومن لا شيخ صوفي له فشيخه الشيطان!!

ـ لا انتقال للمريد عن الشيخ:

ولكن إن كان للمريد بقية من أحكام العقل والشرع وأدرك زيف شيخه وانحلاله، فهل يحق له التخلي عنه إلى سواه؟ هذا غير ممكن، فالشيخ الذي جعل فضيلة الجهاد للجهاد في سبيله، الذي جعل من نفسه إلها يطلب الفناء فيه، الذي جعل المريد واحداً من أسباب رزقه الهامة، لا يرضى بخروج المريد عنه إلى سواه، ومن كان آبقاً عن إلهه وربه فهو الكافر والمرتد لا محالة "فكما أن الله لا يقبل الشرك من عباده"[1] كذلك الشيخ يرفض مشاركة غيره في مريديه، والشيخ أبو العباس الشريشي الفاسي يقول:

"فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر"[2]

فصاحب العقل من المريدين إذن لا يرضى عن شيخه بديلاً ولو ابتعد عن الحق بُعد الليل عن الفجر!

فليس للمريد أن ينتقل إلى شيخ آخر ولو كان صوفياً وإلا فلا وصول له إلى الله "فإذا سلك الإنسان مقدار عقدة ثم انطلق إلى شيخ آخر فسلك على يديه مقدار ثم انتقل إلى آخر. فنَفَذَ عُمر هذا وهو في أول

---

[1] ـ ص٢٠٧ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس
[2] ـ ص١٣١ ج٢ الإبريز

عقدة"[1]، "فالمريد لا يفلح قط – كما يقول ابن عربي – بين شيخين قياساً. على عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين"[2]، واعلم "أن التقلب – بين المشايخ – دليل على عدم الإخلاص في عبادة الله"[3].

"أما المريد الذي يخرج عن حكم شيخه بالكلية، فليس له أن يقدح في شيخه، ولو قدح لم يقبل منه فإنه في حال تهمة لارتداده"[4]. ولمن سيذهب هذا المرتد فهل تراه سيذهب إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟ إلا أن الشيخ محمد بن حامد يقول: "من لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سنة"[5] لأنه قد كفر قطعاً، طالما أن المشايخ ليسوا إلا على كتاب الله كتاب اليقين وإنه لفرق لو تعلمون عظيم ما بين قرآن الدفتين وقرآن اليقين!

---

[1] - ص٤١ ج١ اليواقيت والجواهر
[2] - ص٣٥ ج١ م١ اليواقيت والجواهر، ص١٤١ التصوف بين الحق والخلق
[3] - ص١٢٨ ابن عربي حياته ومذهبه
[4] - ص٥٢٤ ج١ بـ٦٩ الفتوحات المكية
[5] - ص٢٨٣ طبقات الصوفية، ص٩٨ حقائق عن التصوف

- الشيخ رب للمريد:

فناء المريد في الشيخ ضرورة من ضرورات الطريق، وعلاقة الشيخ بالمريد على هذا الأساس سنة كونية، وسنة كونية أن يوجد شيخاً ومريداً، حيث "أن الله عز وجل – كما يقول عبد القادر الجيلاني – أجرى العادة بأن يكون في الأرض شيخ ومريد صاحب ومصحوب"[1]، وقداسة الشيخ من الموضوعات الأساسية للإيمان والاعتقاد لأنك "لا تنتفع بشيخك – كما يقول عدي بن مسافر – إلا إن كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد"[2] إلى حد أن "أبو علي الدقاق يتساءل: هل يحتمل أن يكون مقام النبي الذي يبعثه الله فوق مقام شيخه"[3]، "فرتبة الشيخ حسب السهروردي من أعلى الرتب في طريق الصوفية- فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين- أولئك كلامهم كلام الأنبياء"[4]، فالشيخ "كلامه شفاء، بالله ينطق وبالله يسكت"[5]، وابن عربي ينشد قائلاً:

"ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله — فقم بها أدباً لله بالله
الوارثون هم للرسل أجمعهم — فما حديثهم إلا عن الله"[6]

---

[1] - ص١٦٥ الغنية
[2] - ص١٣٧ ج١ الطبقات الكبرى
[3] - ص٤٣٦ الصلة بين التصوف والتشيع
[4] - ص٧٣ عوارف المعارف
[5] - ص٧٦ نفسه
[6] - ص٣٦٤ ج٢ بـ١٥٠ الفتوحات المكية

فصحبة من يوصل إلى الله "ما هي – برأي ابن عجيبة – إلا صحبة الله إذ ما ثمَّ سواه"[١]، والجيلاني يقول: "أنا عبرت- تعلق بي حتى تعبر بالعجلة"[٢]، "وإذا ظهر مني كلام إليك فخذه من الله عز وجل فإنه هو الذي أنطقني به"[٣]، ويقول السهروردي: "فالشيخ للمريدين أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحي"[٤]، "فالمشايخ هم الطريق إلى الله عز وجل والأدلاء عليه والباب الذي يدخل منه إليه. فلا بد لكل مريد لله عز وجل من شيخ"[٥] ليكون "وسيلة وواسطة بينه وبين ربه عز وجل وطريقاً وسبباً يتوصل به إليه"[٦]. فهو الواسطة بين الحق والخلق "وليس شيخك – كما يقول أبو مدين – من دعاك إلى الباب، إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب- من لا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه "تعالى" فزج بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك"[٧]

"ففي رضاه رضى الباري وطاعته   يرضى عليك فكن من تركها حذرا"[٨]

---

[١] - ص١٧ ج٢ إيقاظ الهمم
[٢] - ص٣٨ الفتح الرباني
[٣] - ص٢٢ نفسه
[٤] - ص١٩٩ عوارف المعارف
[٥] - ص١٦٦ ج٢ الغنية
[٦] - ص١٦٥ نفسه
[٧] - ص١٦٤ ج١ الفتح الرباني
[٨] - ص٢٣ ج٢ الفتح الإلهي

وليس هذا فحسب وإنما اعلم: أن قلب العارف حضرة الله وحواسه أبوابها، فمن تقرب إلى حواس العارف بالقُرب الملائمة فتحت له أبواب الحضرة"[١]. فطاعة الله برضى الشيخ وما الدين إلا بطاعة الولي، فتقربوا إليه بالطعام والخدمة والأموال لتفتح لكم الحضرة، ومن لم يكن عبداً للشيخ ما كان عبداً لله، "ومن تربى على يد ولي عارف بالله حقق باب العبودية"[٢]. فليست العبادة بالفرائض والنوافل كما يظن أهل الظاهر "لأن الخدمة – كما يقول السهروردي – لأهل العبادة أو المشايخ تقوم مقام العبادة"[٣] أو أنها تساوي في أقل تقدير النفل إن لم تكن أفضل منه، وفي ذلك يقول الغزلي: على المريد ألا "يلقي بين يديه – أي يدي شيخه – سجادته إلا وقت أداء الصلاة، فإذا فرغ يرفعها ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته"[٤] حتى يتفرغ لخدمته "وليس مريداً البته – كما يقول ذو النون المصري – من لم يكن أطوع لأستاذه من ربه"[٥]، فالمشايخ – برأي الجيلاني – عند المريدين كالقبلة، والنظر إلى وجه الشيخ عبادة يزيد في الدين والعقل والإيمان ومن البلاء أمان"[٦]، "فمن والى في الله ولياً – كما يقول ابن عربي – فقد اجتمع بالله. فحصل لك أجر ما يستحقه صاحب

---

[١] - ص٣٤ ج٢ الطبقات الكبرى
[٢] - ص٤٧ ج١ الأنوار القدسية
[٣] - ص٩٧ عوارف المعارف
[٤] - ص١٧٢ أيها الولد
[٥] - ص٤٣٦ الصلة بين التصوف والتشيع
[٦] - ص١٧٧ قلادة الجواهر

هذه الجمعية فرأيت الله برؤية وليه"[1]، والنظر إلى العارف بالله – عند ابن عجيبة – إنما هو نظر إلى الله"[2].

الشيخ يرافق المريد بكل أحواله يجري منه مجرى الدم، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد، "فهو لا يفارق أصحابه ومريديه قط، بل يجري منهم مجرى الدم، وأرواحهم منوطة به إذ له الإحاطة الوجودية، والعالم كله مضطر إليه"[3] للحفاظ على بقائه ووجوده فهو كالإله بلا فرق والدسوقي يقول: "يا ولدي إن صح عهدك معي فأنا منك قريب غير بعيد، وأنا في ذهنك وأنا في سمعك وأنا في طرفك، وأنا في جميع حواسك الظاهرة والباطنة- فمهما ورد عليك من مشكلات سرك أو شيء تستخير فيه ربك أو أحد يقصدك بأذى أو غير ذلك فوجِّه وصفِّ سرك واطبق عين حسك وافتح عين قلبك، فإنك ترى شيخك في جميع أمورك وتطلب منه حاجتك"[4] فإنها مقضية ولا بد، "فيا أولادي لا تصحبوا غير شيخكم- فمن أشغل قلبه بمحبة شيخه رقَّاه الله عز وجل"[5]. ولكن اعلموا أن "من أحب مولاه لا التفات له إلى زوجة ولا إلى ولد ولا أخ ولا صاحب"[6]، والشيخ علي ولدة "يقول: من كان خليفته – تعالى – مرشدك ومربيك –

---

[1] - ص٣٠٤ ج٣ بـ٣٦٢ الفتوحات المكية
[2] - ص١٧ ج٢ إيقاظ الهمم
[3] - ص٤٠٩ ابن سبعين وفلسفته الصوفية
[4] - ص١٧٧ ج١ الطبقات الكبرى
[5] - ص١٧٨ نفسه
[6] - ص١٧٧ نفسه

أيها المريد – فهو بحقيقته ربك وهاديك"[1]. وشتان بين العبد والرب أو بين الشيخ والمريد!

الشيخ يطلب من مريديه بذل الأموال والأنفس في سبيله، هذا صحيح، وإنه لثمن بخس بالمقارنة مع خدمات هذا الكائن الإلهي لمن كان محباً ومريداً له، فبمجرد أن يصل إليه الإنسان أو يتعرف عليه فله القربى من الله عز وجل، "فإن وجدت شيخاً مربياً. فأنت قطعاً من أهل القرب"[2]، ومدح الشيوخ – كما يقول ابن عجيبة – من أعظم القربات وأقرب الوسائل إلى الوصول، إذ هم باب الله الأعظم ويد الله الآخذة بيد الداخلين إلى الحضرة، فمن مدحهم فقد مدح الله. ومن ذمهم فقد ذم الله"[3]، "ومدح الشيوخ – كما يقول ابن عجيبة – من أعظم القربات وأقرب الوسائل إلى الوصول، إذ هم باب الله الأعظم ويد الله الآخذة بيد الداخلين إلى الحضرة فمن مدحهم فقد مدح الله. ومن ذمهم فقد ذم الله"[4]

التعرف على مشايخ التصوف أمر جلل "ولم يوصل أحد إليهم إلا من أراد سبحانه تعالى أن يوصله إليه. وصولك إليه تعالى وصولك إلى عارف به. فهو الذي حجب أوليائه بما ظهر عليهم من أوصاف البشرية فلا يعرفهم إلا من سبقت له العناية الربانية. وقال أبو العباس المرسي

---

[1] - ص٣٠ ج٢ الطبقات الكبرى

[2] - ص١١٥ ج١ إيقاظ الهمم

[3] - ص٣٥ ج٢ إيقاظ الهمم

[4] - ص٣٥ ج٢ إيقاظ الهمم

رضي الله عنه: معرفة الولي أصعب من معرفة الله- وقال الشيخ أبو الحسن: التصديق بطريقتنا ولاية"[1]، فالله والولي "لا ينفك أحدهما عن الآخر"[2].

فاخدموا المشايخ وضحوا في سبيلهم بكل غال ونفيس، "خدمة الشيوخ قربة عظيمة ومنقبة جسيمة، وهي سبب الفوز بالوصول إلى معرفة الحق تعالى ونيل درجات المقربين بين السابقين- والشيخ عبد الوارث رضي الله عنه يقول: الرجال سبب الوصال"[3]، والمريدين بحق هم الذين "بذلوا نفوسهم وأهانوها في خدمة الشيوخ والإخوان، فنالوا غاية العرفان وحازوا أقصى مقام الإحسان"[4]. وإلا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" إن لم يكن النظر إلى الشيخ هو النظر إليه تعالى، فاخلصوا الخدمة للمشايخ واصدقوا فيها، وما الخير إلا لكم لا له "فكل واحد – من المريدين – يعرف من سر الشيخ على قدر صدقه فيه"[5]، فليرجع كل واحد إلى نفسه وإخلاصه إن تأخر الكشف والفتح عليه، فالشيخ قادر على جعل الحجر عارفاً والنملة أسداً إن وجد الإخلاص له، وها هي الملائكة تخدم من يخدمه وأي شرف أعظم من

---

[1] - ص٤٦ ج٢ نفسه
[2] - ص٥٨ نفسه
[3] - ص٨٠ ج٢ الفتح الإلهي
[4] - ص٨٢ نفسه
[5] - ص١٤ ج١ الفتوحات الإلهية

ذلك، والرفاعي يقول: "أي إبراهيم- إذا خدمت الفقير "أو شيخك" عظمت عند الله تعالى، وخدمتك الملائكة واستغفرت لك"[1]، "ومن أحب – كما يقول الشيخ علي ولده – أن يكون في حفظ رب العالمين فليخدم أوليائه العارفين بصدق- فانظر كيف حفظ الله الشياطين لما كانوا في خدمة أوليائه العارفين"[2]. أتراه لا يحفظ المريدين الذين يخدمون المشايخ؟ واعلم أن الجنة لن تكون إلا لمن خدم المشايخ بإخلاص لا لمن أقام التكاليف والنوافل فالمريد الصالح كما يقول السهروردي أو "الخادم" يرى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والإيثار فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها، فللخدمة فضل على النافلة التي يأتي بها العبد طالباً بها الثواب- وقوله ﷺ: "ذهب المفطرون "الذين خدموا الصائمون" اليوم بالأجر" يدل على فضل الخدمة على النافلة"[3] ولا غرابة طالما أن الشيخ سيشفع لمن أحبه وخدمه يوم القيامة عند ربه"[4]. وهل من مقارنة بين الدنيا الفانية والنعيم الأبدي أيها السعداء بشيخكم؟!

[1] - ص١٧٠ قلادة الجواهر
[2] - ص٥٠ ج٢ الطبقات الكبرى
[3] - ص٧٧ عوارف المعارف
[4] - ص٩٩ ج٢ الإبريز

ـ الشيخ يغيث المريد:

أعمال الشيخ حياً كان أو ميتاً مع مريديه عظيمة جليلة، إنها الأساطير بل والأعظم، ومن أعماله رعايتهم وإغاثتهم عند المصائب والنكبات وإذا ما نظرت بعين المقارنة بين ما يبذلونه في سبيله وما يقدمه لهم من خدمات لعرفت عندها الفرق بين الثرى والثريا.

يقول الشعراني أن جده الشيخ موسى المكنى بأبي عمران "كان إذا ناداه مريده أجابه من مسيرة سنة وأكثر"[1]، وربما أن الشيخ يتمتع بموهبة التخاطر ونقل الأفكار عن بعد بشكل جيد، حتى عرف كيف يستغلها، بل أن فكرة الفناء في الشيخ ليست على الحقيقة إلا لإيجاد هذه الملكة بين الشيخ والمريد، وهذا شأن معروف عند الوسطاء الروحيون.

الشيخ يرعى مريده بكل الحالات، حتى أنه يخشى عليه من برد الليالي، وفي ذلك يقولون: "إن الشيخ إذا كان له مريد ولو كان على بعد وانكشف غطاؤه عن يده ليلاً يمد يده ويغطيه"[2]، "فالشيخ إذا كان كاملاً ـ كما يقول الرفاعي – يحضر عند مريده ويغطيه إذا انكشف، ويرفع عنه الأذى ما استطاع ويقرِّب منه المنافع"[3]. ويا له من حنان لأب روحي لا نظير له وهو ما تفتقر إليه أغلب الأمهات بالفعل!

---

[1] ـ ص٢١ ج٢ الطبقات الكبرى

[2] ـ ص٧٣ – ٧٤ قلادة الجواهر

[3] ـ ص١٨١ نفسه

الشيخ دائم الاستعداد لمشاركة المريد في حل ما يعترضه من المسائل الصعبة، مهما كان نوعها، وأحدهم يقول: "وكان من صدقي في صحبته أني أتمناه بالليل في بيتي لمسألة تخطر لي، فأراه أمامي فأسأله ويجيبني ثم ينصرف، فأخبره بذلك بكرة ويتفق لي معه هذا بالنهار في منزلي إن اشتهيته"[١]. فمتى تمناه واشتهاه كان متجسداً بين يديه، واشتهاه!!

الشيخ ينجي المستغيث به ولو كان على كفر وحداثة عهد بالتصوف، حيث يكفيه الاعتقاد بالشيخ وقدراته الخارقة، والرفاعي يحكي لواحد من أحفاده قائلاً: "اعلم أنه قد خرج رجل من خلف سبع بحار، يريد المجيء إلى هذه البقعة وأخذ العهد على يد جدك وهو مشرك فأدركته الوفاة في طريقه، فنادى وهو يجود بنفسه: يا سيد أحمد الرفاعي أدركني! فأدركته فأخذت عليه العهد وأسلم، ثم قبض فحضرت وفاته وواريته تحت الثرى ورجعت إليك"[٢]. والمسألة بكل أحداثها هذه لا تتجاوز طرفة عين، وإن شئت فصدِّق!!

الشيخ يدافع عن زائريه بشراسة وضراوة وذات مرة اعترض العسس سري السقطي القاصد زيارة فتح الموصلي، وعندما أراد ضربه

[١] - ص٥٠ – ٥١ نفسه
[٢] - ص٦٩ نفسه

إذ بفتح الموصلي قد شلَّ يده عن الحركة ومنعه من استخدامها"[1]. وليس هذا فحسب، فإنه أيضاً يخدم القبيلة التي ينتمي إليها المريد المخلص، وها هو أحدهم يستغيث قائلاً: "يا سيدي- استر هذه القبيلة من نار هذه المسألة، وكان له ما أراد، وكذلك نجى الشيخ أحد أحبابه من الأمطار المهلكة عندما استغاث به"[2]. وعندما وقع ابن المبارك في مأزق قال: "فجعلت أصيح: يا سيدي مولاي عبد العزيز، فأتاح الله لي أناساً كانت بهم نجاتي"[3].

الشيخ ينقذ المستغيث به على أسرع ما يمكن ولو اضطره الأمر لاستخدام قبقابه، فالشيخ شمس الدين الحنفي ضرب بفردة قبقابه من العراق إلى مصر لصاً أراد ذبح مريده الذي استغاث به"[4]. والشيخ مدين الأشموني بالغرب أنقذ كرامة ابنة أحد مريديه عندما استغاث به بفردة قبقابه التي ضربها إلى المشرق لتصيب هدفها بكل دقة غير آبهة بالمسافة التي تفصل المشرق عن المغرب"[5]. ولكم نتمنى لو أن صواريخ الصوفي البلاستية هذه استخدمت في حروب المسلمين لاسترجاع بعض كرامتهم المسلوبة على الأقل!

---

[1] - ص١٧٠ الرسالة القشيرية
[2] - ص٧٧ ج١ الإبريز
[3] - ص٨٧ نفسه
[4] - ص٩٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[5] - ص١٠٢ نفسه

وليس دور الشيخ قاصراً على إغاثة مريديه من أهوال الدنيا وعندما يكونون أحياء فحسب، وإنما هو رفيقهم أيضاً إن اقتحمهم الموت ليغيثهم من هول ما قد يحدث لهم، "فكل شيخ ـ كما يقول الرفاعي لم يحضر تلميذه عند الموت فليس هو عندنا برجل- وكل شيخ لا يراعي تلميذه في القرب والبعد في حال حياته وبعد مماته فليس هو عندنا برجل"[1]، ودور الشيخ هو نفسه سواء كان الشيخ حياً أو ميتاً، فهو المغيث لمريديه "ولو مات ومرت عليه آلاف السنين"[2]، "فالشيخ بالنسبة إلى المريد لا يموت مطلقاً- فإرشاده له وعونه إياه يستمران حتى ما بعد موته- أما تأثيره في المريدين الذين رعاهم فثابت أبداً"[3].

الشيخ في غفرانه للذنوب كالإله تماماً، فهو الغفار لمريديه كل ذنوبهم إن آمنوا به وصدقوه، والشيخ أحمد الرفاعي يقول: "لا يكون الرجل – أو الشيخ – ممكَّناً في سائر أحواله حتى يُعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء بكرم الله ولطفه. ولا يكون الشيخ شيخاً كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله ولا يصلح له الجلوس في المخدة حتى يحضر في أربع مواضع: عند خروج روحه من جسده،

---

[1] - ص٩٤ قلادة الجواهر
[2] - ص٥٨ ج٢ الإبريز
[3] - ص٧٢ الصوفية بين الأمس واليوم

وعند مساءلة منكر ونكير له، وعند جوازه على السراط وعند الميزان"[1].
وبحضوره هناك أو في هذه الأمكنة تكون نجاة مريده، وسبحان من لا شريك له، حيث قال: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" ولكن أين الشرك في توجه المريد إلى الشيخ في السؤال وطلب الاستغاثة طالما "أن الشيخ – كما يقول عبد القادر عطا – هو سبب هداية المريد، فإن المريد إذا تعلق بشيخه وطلب منه المدد لا يكون قد أشرك بالله تعالى"[2].
لأن الشيخ واسطة بين الحق والخلق، وإن ذهبت الواسطة ذهب الموسوط، أو لأنه ما ثم إلا الله مع زوال الفرق بين الخالق والمخلوق، وهل مشايخ التصوف إلا "ليقربونا إلى الله زلفى" فأين الشرك؟!

أما الدباغ فلا نراه محباً لفكرة إخفاء الشريك، وها هو يضع الأمور في نصابها، فقد سأله ابن المبارك قائلاً: "لمَ كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل، فترى الواحد إذا جهد في يمينه يقول: وحق سيدي فلان كسيدي عبد القادر الجيلاني- وإذا أراد أن يحلِّف أحداً ويؤكد عليه في يمينه يقول: احلف لي بسيدي فلان. وإذا أصابه ضر وأراد أن يسأل "أو يستغيث" صرخ باسم سيدي فلان، وهم في ذلك منقطعون عن الله عز وجل، وإذا قيل لهم: توسلوا بالله، أو احلفوا به أو نحو ذلك، لا يقطع ذلك الكلام منهم موقعاً، فما السبب في ذلك؟

[1] - ص١٩٣ قلادة الجواهر.
[2] - ص٥٣٨ حقائق عن التصوف

فقال: أهل الديوان من أولياء الله فعلوا ذلك عمداً"[1]، "فكان من المصلحة ما فعل أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين"[2].

فأهل الديوان أو الهيئة العليا للأولياء المسؤولون عن تدبير أمور الكون، هم الذين شرعوا جعل الشيخ الصوفي معقد اليمين بين الناس، وهم الذين شرعوا الالتجاء إليه أو إلى قبره للاستغاثة والسؤال دون الله، مراعاة لتأمين أرزاق الصوفي، وما قصدوا نسخ شريعة الرسول الأعظم ﷺ، إلا أن الأغرب أن الصوفي كما رأينا عند نقاش فضائله يرفض التوجه إلى الله بالدعاء والسؤال بحجة التوكل والجمع وانعدام الفرق بين الخالق والمخلوق وإلى ما هنالك بينما نراه هنا يبيح شرعاً لمريديه التوجه إليه أو إلى قبره توسلاً واستغاثة من دون الله ولكن كما يقولون لكل مقام أحكامه وشرعه الخاص به، وبحكم الظاهر والباطن لا عقيدة ولا شرع مطلق عن النبوة لجميع البشر أو لجميع المسلمين على الأقل.

---

[1] - ص٤٥٠ ج١ الإبريز

[2] - ص٤٥١ نفسه

- تقبيل اليد واجب روحي:

أنت ومالك لشيخك الصوفي أو لأبيك الروحي "ومن آثر أستاذه على نفسه كشف الله تعالى له عن حضيرة قدسه"[1]. فعلى المريد الصالح كما يقول السهروردي "أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف بنفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره"[2]، بل وعليه اقتسام أمواله معه، والشيخ حسن التستري يقول: "يجب على الفقير إذا آخى في الله تعالى أن يشاطر أخاه في ماله كما فعلت الأنصار مع المهاجرين. وكل من ادعى الأخوة في الله فامتحنه بهذا الميزان"[3]، "فالمريد – كما يقول عبد القادر الجيلاني – ليس له قميص ولا عمامة ولا ذهب ولا مال بالإضافة إلى شيخه"[4]، وها هو إبليس نفسه يغضب من المريد البخيل حتى راح يشكوه للشيخ أبي مدين، بحجة أن مريده هذا قد سلبه الدنيا التي هي بالأصل من نصيبه"[5]. فأين هذا المريد من المريدين الخلص للطريقة الرفاعية الذين "أهدى كل واحد منهم بنته للشيخ"[6].

وهل تقبيل اليد بعدها بالشيء العظيم؟ إلا أن الإسلام لا يوافق على ربط تقبيل اليد بالذل والهوان المشار إليه بالإنحناء والجثو والركوع وإلى

---

[1] - ص٣٣ ج٢ الطبقات الكبرى
[2] - ص١٩٩ عوارف المعارف
[3] - ص٧١ ج٢ الطبقات الكبرى
[4] - ص٢٨٦ الفتح الرباني
[5] - ص٣١ روح القدس في محاسبة النفس
[6] - ص٢٩٦ ج٢ الإبريز

ما هنالك، ناهيك عما اختلف فيه الفقهاء على جوازها وعدم جوازها من الناحية الشرعية، خاصة إن كانت تؤدي إلى الاستغناء عن المصافحة التي هي من السنة.

فمن المعلوم مثلاً أنه "إذا فرغ – الشيخ – من صلاة أو دعاء تسابق المريدين حبواً لتقبيل يديه"[١] بذل وخشوع، وعندما سئل الرفاعي عن ذل المريد عند تقبيل يديه "قال رضي الله عنه: ما يقبِّلون يدي-. هؤلاء يقبِّلون اسم الله العظيم-. انظر إلى أصابعي فإنها اسم الله تعالى. ففرَّق أصابعه وأقام الخنصر في مقام الألف والبنصر والوسطى في مقام اللامين وضم الإبهام بالسبابة حتى صار بشكل الهاء من اسم الله تعالى"[٢]، ولابن عجيبة شعوذة أخرى لحصر تقبيل اليد بمشايخ التصوف دون سواهم كالفقهاء والمحدثين والعلماء قائلاً: "كل من مد يده للتقبيل ولم يرها يد الجليل كان القطع في حقها من القليل-. ولا تكون يده يد الجليل حتى تتحقق خلافته في الأرض، ولا تتحقق الخلافة حتى يستولي على الوجود بأسره من عرشه إلى فرشه ويصير في قلبه كحلقة في الأرض، فإذا صار هكذا كان خليفة الله في أرضه ويده يد الملك"[٣]. فتقبيل اليد لا يكون إلا لأولياء التصوف، لخليفة الله المتصرف في الوجود والحافظ له، وليست هذه المزاعم إلا

---

[١] - ص١٤٦ التصوف بين الحق والخلق
[٢] - ص١٩٨ قلادة الجواهر
[٣] - ص٢٤٤ ج٢ إيقاظ الهمم

للشيخ الصوفي، فمن صدقه بما زعم وجب عليه تقبيل يديه، أو بجهله استحق عقوبة الركوع لتقبيل أيدي المشاركين لله في قدرته وملكوته.

ومن المظاهر التي يستخدمها المشايخ للدلالة على عظمتهم اجتماعياً، استخدامهم للمريدين في مسيرهم بالأسواق وأينما ذهبوا، فإن "خرج – الشيخ كما يقول الشعراني – في سوق لا يعرفه فيه أحد ونادى بأعلى صوته أنا شيخ من الأولياء، لا يلتفت أحد إليه ويسخرون به، وإذا خرج والفقراء ماشون قدامه ووراءه مطرقين رؤوسهم قال الخلق: هذا شيخ من الصالحين، ولو لم يعرفه أحد، لأن هيئة المشيخة قد حصلت باجتماع التلامذة حوله"[١]. فعلى المريدين بالمسير أن يكونوا "ملازمين الأدب بالإطراق بين يديه والقيام بخدمته والمشي أمامه لمَّا يركب أو يمضي في شفاعة أو وليمة"[٢].

وليست المواكب للاستعراض والولائم فحسب، فها هي أيضاً تستخدم عند استقبالهم للشيخ العائد من السفر، أو عند زيارتهم لشيخ من المشايخ، ومن أجل لقائه كما يقول ابن عجيبة آداب "منها أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهليلة والذكر، فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى

[١] - ص١٥٧ – ١٥٨ ج١ الأنوار القدسية
[٢] - ص٥٥ نفسه

الزاوية. ومنها انتظار خروج الشيخ من غير نداء عليه ولا رسول إليه"[1]، ومن ثم القيام "بتقبيل يد الشيخ ثم رجله"[2].

وأي حلم أعظم من هذا في مخيلة المريد؟ ولكن لا بد له من الصبر حتى يكون شيخاً تخضع له الرقاب في نهاية الأمر، والشيخ عبد القادر الجيلاني يدغدغ أحلام مريده هذه لتتمكن وتعشعش في ذهنه ونفسه قائلاً: "اطلب – أيها المريد – ودَّه فإنه يريدك، البداية تكون مريداً، وهو المراد، وفي النهاية تكون مراداً وهو المريد، الصغير في حال صغره يطلب أمه فإذا كبر تطلبه أمه، إذا علم صدق إرادتك له أرادك، إذا علم صدق مجيئك له أحبك"[3]، "يا غلام كن غلام القوم وأرضاً لهم وخادماً بين أيديهم، فإذا دمت على ذلك صرت سيداً. إذا احتملت القوم وخدمتهم رفعك الله إليهم وجعلك رئيسهم، فكيف إذا خدمت خواصه من خلقه"[4].

أما إن تذمَّر المريد بعد أن بدَّد أمواله على المشايخ وخشي من عدم تحصيله المشيخة أو الوصول قبل الموت، فالشيخ المحنك سيطمئنه قائلاً بأن الوصول إلى الولاية لا بد آتيه ولو بعد الموت، وها هو ابن عجيبة يقول: "وكان شيخ شيخنا يقول: من مات وهو في الطريق أدركته الولاية

---

[1] - ص١٢٨ ج٢ الفتح الإلهي
[2] - ص١٢٩ نفسه
[3] - ص١٥٥ الفتح الرباني
[4] - ص٢٣٨ نفسه

بعد الموت على التحقيق"[1]. فالمريد سيصل ويصبح ولياً ذا مقام حتى ولو كان ميتاً، وعند موته كما يقول ابن عربي "يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات، فإذا استوفاه أحضر ذلك الميت – بصورته التي كان عليها – وهو حي وألبس تلك الصورة ذلك الأمر-. فحصلت عندها نفس ذلك الميت ـو روحه في ذلك المقام على أتم وجوده-. هذا مذهب شيخنا أبي يعقوب"[2].

وبالمقابل فللمشايخ حقوق على مريديهم حتى بعد موتهم، فعلى المريد حفظ حرمة الشيخ "وأما حفظ الحرمة – كما يقول ابن عجيبة – فتصدق بحرمة الشيخ حاضراً أو غائباً حياً أو ميتاً، فلا يجلس في موضع يذكر فيه الشيخ بسوء أو ينتقص منه"[3]، فاحترام الشيوخ واجب واحترامهم – كما يقول ابن عربي – أن لا يلبس – المريد ثيابهم ولا يقعد في مكانهم ولا ينكح المريد امرأة شيخه إن طلقها أو مات عنها"[4]، وينبغي للمريد – حسب الرفاعي – أن يعرف لشيخه الحق بعد وفاته كما كان يعرف له الحق بحال حياته"[5]، ويقول الشيخ سراج الدين الصيادي: "ومن آداب المريد اللازمة حفظ قلب شيخه والتواضع له ولذريته ولأقاربه"[6].

---

[1] - ص٢٥٠ ج٢ إيقاظ الهمم
[2] - ص٦١٦ ج١ بـ٧١ الفتوحات المكية
[3] - ص١٥ ج١ الفتوحات الإلهية
[4] - ص١٨٢ مواقع النجوم
[5] - ص١٤٣ قلادة الجواهر
[6] - ص٢٧٨ نفسه

فالمشايخ لا يموتون وإنما ينتقلون وهم على كامل ما كانوا يتمتعون به من إرادة وفعل، فالصوفي إن مات لا ينقطع عمله، فهو ليس كغيره ولا من الذين يشملهم قوله ﷺ "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث"!

ـ ملاحظة:

كثيرون هم الذين تحدثوا عن الاستبداد: أنواعه، جذوره، طبيعته، نتائجه. ولكن لا أحد ذكر شيئاً عن جذوره الصوفية التي جعلته مقدساً من الناحية الاجتماعية والدينية إن صح التعبير، دون إنكاره ومقاومته.

مشايخ التصوف من أهم الجذور التي ترعى الاستبداد وترويه بشكل مستمر من حيث هم النموذج المستمر في الوجود ولهم في ابتداعه ورعايته منهج عجيب غريب، وفق ما يلي من المراحل والخطوات:

١ ـ عزل المريد ثقافياً ومنعه من الاطلاع على الفكر الآخر ولا سبيل لنجاته إلا بإغلاق عقله عن أي مصدر معرفي مهما يكن للاكتفاء بما يمليه عليه شيخه.

٢ ـ عزل المريد عن توجيه أو تربية والديه، بحجة أن المريد هو المريد للشيخ منذ الأزل، منذ كانا في عالم الذر، منذ وجد اللوح المحفوظ، فهو الأب الروحي له، والأب الروحي مقدَّم على أبوي الجسم، فله الطاعة المطلقة دونهما.

٣ ـ عزل المريد وتفريغ عقله مما كان يعلم من معايير وأحكام ذات صلة بالله والعقل والنبوة، بشعار لا تحلي بالكرامات والكشف والفتح قبل التخلي عما لديه من الأحكام العقائدية والتشريعية لإفراد القصد إلى الشيخ والزهد في كل ما سواه.

٤ – الطاعة المطلقة للشيخ: فعلى المريد أن يكون كميت بين يدي مغسله أو شيخه، فلا إرادة ولا اختيار له ولا له مؤاخذة شيخه حتى لو رآه على المعصية من زنا وسرقة وشرب خمر وإلى ما هنالك بحجة الخضر وأن أفعاله ذات أسرار لا تُدرك، وأنه المحفوظ أو المعصوم الذي لا أفعال له سواء كانت طاعة أو معصية إلا بأمر الله المباشر، أو بحجة أنه النائب لله أو خليفته، وأن يده يد الله، وأوامره أو كلامه كلام الله، ولهذا فهو بمثابة الرب بالنسبة للمريد، والمريد عبد، فمن العبد الطاعة، ولا يُسأل الرب عما يفعل، ومن أجل الطاعة المطلقة كان زعم اتحاد الشيخ بالله أو حلول الله فيه، ومن أجلها أيضاً كان سعيهم لفناء المريد في الشيخ.

٥ – ثمار منهج الاستبداد الصوفي: الذل زينة المريد، وبالخنوع شهامته، هو الزاهد بعقله، الصبور على حمل أثقال شيخه وعليه خدمته في الليل والنهار وعلى كل حال، فهذا أفضل له من القيام بالنوافل، ولهذا زعم المشايخ وجوب الإذن للمريد إن أراد الصلاة أو الصيام، ومن خدم شيخه خدمته الملائكة ورضي الله عنه، ومن أعظم القربات إلى الله أن يضحي المريد في كل ما يملك في سبيل شيخه وذريته.

٦ – مكافآت المريد: وتتمثل هذه المكافآت بإغراء تغير طبيعة المريد الترابية ليصبح واحداً من جملة الملائكة، انتهاء بالوصول إلى الله، وبالحلول والاتحاد فيما بينهما تكون معرفته وقدراته هي معرفة وقدرات

الله نفسه، ولا فرق عندها بين الله والمريد الواصل إليه! هذا هو الحلم الذي يدسه أرباب التصوف في رؤوس عبيدهم ومن أجله يضحي العبيد وهم السعداء بكرامتهم وأملاكهم!

ـ التصوف والغلمان الحسان:

لقد تكلمنا من قبل عن فضيلة الذكر التي امتدت إلى السماع الذي أصبح معناه الغناء والطرب والرقص، وبهذا المعنى أصبح لزاماً علينا الكلام عن انتشار وله الأولياء بالغلمان ومخالطة النسوان للصلة البارزة ما بين السماع والشذوذ الجنسي الناتج عن الصراع العنيف مع الفطرة على مستوى الرياضات من جهة، وعلى مستوى حفلات الذكر من جهة أخرى.

حب الغلمان والشذوذ نحو اللواطة كان منتشراً في اليونان انتشاراً عظيماً حتى دافع عنه الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين بحجة الحب العذري أو الحب لذاته، وكذلك كان متفشياً في فارس، "وثمة شواهد محلية وأجنبية تشير إلى انتشار حب الغلمان انتشاراً واسعاً في إيران منذ أقدم الأزمنة، إذ نجده في الجاتة رقم ٥١، ٢ـ. وكذلك نجده في مذكرات الإمبراطور "بابر" التي ألفت حوالي نهاية القرن السادس عشر الميلادي "العاشر الهجري""[١].

وناهيك عن تأثر أرباب التصوف بتلك المصادر وناهيك عن علاقة المثلية بالفناء والغيبوبة وعن اتصال معنى الجمال بالتجلي الإلهي، نرى أن الكبت الجنسي الذي سعت إليه رياضات المتصوفة هو الدافع الأهم في

---

[١] ـ ص٧٥ الإنسان الكامل في الإسلام

انتشار ظاهرة حب الغلمان ومطاردتهم. فذلك "الصوفي الذي يكبت غريزة الجنس لديه، ويبتعد عن الزواج ويتبتل ويرى في النساء حبائل الشيطان، لا بد أن يسعى لإشباع جنسويته عن طريق غير سوي بممارسة الجنس مع نظرائه"[1] أو مع الحيوانات. "فالتربية الصوفية التي تقوم على قمع الغرائز وطاعة المريد العمياء للشيخ، أدت إلى نشوء علاقات جنسية مثلية"[2] عند القوم.

[1] - ص١٣٣ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف
[2] - ص٢٧٠ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم

ـ أولياء التصوف يعشقون الغلمان ويطاردونـهم:

الصوفي ذو الأحاسيس الشفافة يضنيه الجمال والعشق، وقد "حكي عن الجنيد – حسب رواية الغزالي – أنه قال: مرض أستاذنا السري رحمه الله، فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سبباً، فوصف لنا طبيب حاذق. فأخذ قارورة مائه "بوله" فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه ملياً ثم قال لي: أراه بول عاشق! قال الجنيد: فصعقت وغشي عليَّ ووقعت القارورة من يدي، ثم رجعت إلى السري فأخبرته، فتبسم وقال: قاتله الله ما أبصره! قلت: يا أستاذ وتبيِّن المحبة في البول! قال: نعم"[١].

فالشيخ سري السقطي إذن عاشق، وقد أقرَّ بذلك ولكنه بالطبع ليس عشقاً إلهياً وإلا لما ظهر أثره في بوله. وكثيرون هم المتصوفة الذين يصعقون أمام الغلام الأمرد الجميل، فالشيخ أبو النظر الغنوي غشي عليه وفني وهو يتأمل في غلام جميل الوجه مليح القوام"[٢]، والشيخ محارب بن حسان الصوفي داوم النظر إلى غلام جميل فصعق"[٣]، وكذلك تواجد الشيخ أحمد الغزالي ومريديه لرؤيتهم الأمرد الجميل، والشيخ عبد الله بن موسى أبصر غلاماً جميلاً وراح يطارده حتى "طال به البلاء وأقعده عن الحركة والضنا"[٤]، "ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي- إلى

---

[١] ـ ص٣٣٨ ج٤ إحياء علوم الدين
[٢] ـ ص٢٦٦ ـ٢٦٧ تلبيس إبليس
[٣] ـ ص٢٦٧ نفسه
[٤] ـ ص٢٧١ نفسه

غلام جميل فغشي عليه"، والشيخ أبو مسلم الخمشوعي كرر النظر إلى غلام جميل "ثم صُعق"[١]، "وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه"، "وفيهم من فُرِق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه"[٢]، والحلاج كان "يعاشر أبناء الأغنياء والملوك والقواد"[٣]، والشيخ علي أبو خوذة المشهور بكرامة المشي على الماء كما يقول الشعراني "كان رضي الله عنه يهوى العبيد السود والحبش- وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس"[٤]، وكذلك يقال في الشيخ محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي"[٥]. ولنستمع إلى قصة العشق الرقيقة هذه التي دارت بين صاحب القوت والغلام الأمرد تحت أنغام السماع! تقول القصة "أن عمر المكي دخل أصفهان فصحبه حَدَثْ، وكان والده يمنعه من صحبته، فمرض الصبي، فدخل عليه عمرو مع قوال، فنظر الحدث إلى عمرو، وقال له: قل له يقول شيئاً، فقال القول:

"ما لي مرضت فلم يعدني عائد ويمرض عبدكم فأعود

---

[١] - ص٢٧٤ نفسه
[٢] - ص٢٧٢ نفسه
[٣] - ص٤٤ الحلاج شهيد التصوف الإسلامي
[٤] - ص١٣٥ ج٢ الطبقات الكبرى
[٥] - ص١١٧ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف

فتمطى الحدث على فراشه وقعد، فقال للقول: زدني بحقك! فقال القوال:

"وأشد من مرضي عليَّ صدودكم   وصدود عبدكم عليَّ شديد

فزاد به البرء حتى قام وخرج معهم"[1]. وحتماً بعد أن أصبح الوالد مخيراً ما بين موت ولده كمداً على فراق الشيخ الذي غرر به، وما بين صحبة ولده للشيخ، وإنه لخيار صعب! واستمع أيضاً إلى هذه القصة الأخرى التي يرويها القشيري قائلاً: "رؤي حدث يضرب وجه شيخ بنعله فقيل له: ألا تستحي تضرب وجه شيخ مثل هذا! فقال: جرمه عظيم! فقيل: وما ذاك؟ فقال: هذا الشيخ يدعي أنه يهواني ومنذ ثلاث ما رآني"[2].

ولما كان غلمان المتصوفة يسوحون منفردين في البراري على التوكل أو بصبحة المشايخ، التقى الشيخ ابراهيم الخواص ذات مرة بأحدهم، فراح يقول بعبارات جنسية ملتهبة: "لقيت غلاماً في التيه كأنه سبيكة فضة- وقال أبو تراب: رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد"[3]. وهل سينجو الغلام بضعفه في هذه الصحراء اللافحة المقفرة من قبضة رجل يراه كسبيكة الفضة؟ ولذلك يجب النظر فيما سيحدث للغلام الذي

[1] - ص٢٠٤ ــ ٢٠٥ طبقات الصوفية
[2] - ص٨٦ الرسالة القشيرية
[3] - ص٨٤ الرسالة القشيرية

يرفض رغبة الصوفي الجنسية، فقد ورد في نفح الطيب "أن أحد تلامذة ابن جابر الإشبيلي قال لغلام جميل الصورة: بالله اعطني قبلة تمسك رمقي، فشكاه الغلام إلى الشيخ وقال له: يا سيدي! قال لي هذا كذا، فقال له الشيخ: وأعطيته ما طلب؟ فقال: لا. فقال الشيخ: فما هذه الثقالة؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضاً"[1]. فإذا كان هذا لا ينجو عندما استعان بشيخه، وإذا لم ينج الذي منعه أبيه أو سلطانه، فكيف بالله عليك سينجو الغلام وهو في الصحراء من شهوة الصوفي المكبوت جنسياً؟!

[1] - ص١٦٧ ج٢ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق

ـ الغلمان الحسان للمشايخ دون المريدين:

مشايخ التصوف آثروا أنفسهم بصحبة الغلمان الحسان دون المريدين فالغيرة وحب التملك طبع إنساني لا غنى عنه، والشيخ عبد القادر الجيلاني مثلاً نراه وقد وضع مرتبة المشيخة نصاباً دون غيرها لجواز صحبة المرد الحسان، وكأن الشيخ قد انتزعت منه كل غريزة على الإطلاق، بينما قصص المشايخ مع الغلمان تقول العكس، وفي ذلك يقول الشيخ عبد القادر: "ينبغي أن لا يصحب الأحداث المردان في السفر على الخصوص فإنهم أقرب من مصافاة الشياطين- وفي صحبتهم خطر عظيم إلا أن يكون الفقير ممن يقتدى به من الشيوخ- فحينئذ لا يبالي بمن يصحبه من الأحداث والشيوخ"[1].

فالشيخ إذن يخاف على المرد من مريديه الذين يسهروا على تربيتهم، وهو نفسه يقول: "كنت أصحب بعض الناس – من أهل الطريق – يحدثني بكل ما قد جرى لي ويجري لي "فهو مشهود له بالكرامات" وكان يمشي معه صبي مستحسن ويدخل به إلى السلاطين، فخطر بقلبي من ذلك شيء. فقال "وقد عرف ما بقلبه": يا ولدي هذا الصبي هو في

[1] ـ ص١٧٩ ج٢ الغنية

رباط وأخاف إن تركته هناك هتكوا به"[1]. ولكن ألا تشير حجته هذه إلى عجز المنهج الصوفي في تربية المريدين على الأخلاق؟!

والشيخ أبو الحسن بن الصائغ السكندري حسبما يروي الشعراني قد اشترط لوجود الأمرد في الطريق الصوفي أن يتولى الشيخ أمره في الخدمة بنفسه دون نقيب الفقراء"[2]. فالشيخ إذن هو الذي يتولى خدمة الأمرد الجميل! والشيخ يوسف ين حسين الرازي يخاطب مريديه حسب رواية السلمي قائلاً: "كل ما رأيتموني أفعله فأفعلوه، إلا صحبة الأحداث فإنهم أفتن الفتن"[3]، وهو القائل: لقد "عاهدت ربي أكثر من مائة مرة، ألا أصحب حدثاً، ففسخها عليَّ حسن الخدود وقوام القدود، وغنج العيون، وما سألني الله تعالى معهم عن معصية"[4]. فالرجل إن قُدِّر لنا انتزاع تعابيره الجنسية يصحبهم للجمال المذكِّر بالله لا للمعصية، أو أن الله قد أباح له تلك المعصية وإلا لنهاه عنها، ومن أجل استئثار المشايخ بالغلمان حيل طريفة فقد "عشق رجل – من العوام – أمرد، فهرب الأمرد منه إلى سيدي الشيخ إبراهيم متبولي فوضعه في خلوته فبلغ ذلك الرجل الخبر فغير هيئته في صفة فقير صوفي وجاء إلى سيدي ابراهيم يطلب الطريق فأدخله مع ذلك الأمر فأنكر بعض الناس على سيدي إبراهيم، فلما كان

---

[1] - ص٣٤٨ ــ ٣٤٩ الفتح الرباني
[2] - ص١٦٢ ج١ الطبقات الكبرى
[3] - ص١٧٩ طبقات الصوفية
[4] - ص١٩١ نفسه

الغد خرج الفقير وقال: يا سيدي أنا تائب إلى الله تعالى. فقال: لماذا؟ فقال: يا سيدي وضعت يدي على الشاب فأخذتني الحمى حتى لم أستطع أن أجلس إلى الصباح وقد تبت إلى الله تعالى!"[١].

والواضح من القصة أنها تريد تبرئة المشايخ من إغراء حسن الخدود وغنج العيون، أو أنها تشير إلى استخدام المشايخ لقواهم الزائدة في الحفاظ على ملكيتهم للأمرد، ولو لم يكن في الأمر ما فيه لهرب الغلام أو إلى والديه إلى السلطة على الأقل، ولكنه بالفعل لم يكن راغباً بالعامي قطعاً ولو كان للمشايخ تلك الأفعال الخارقة في حفظ الأمرد لما خشوا عليه من مريديهم حتى اصطحبوه معهم أينما ذهبوا. ولكن الشعراني هو الذي روى والله أعلم!

[١] - ص٨٧ ج٢ الطبقات الكبرى

ـ الكرامات الصوفية وعشق الغلمان الحسان:

الشيخ ضعيف أمام جمال الغلمان ويؤثر نفسه بهم دون الآخرين، بل وسخرهم للحصول على الرزق، ولكن الكرامات التي تجري بين يديه تبرئه من الظنون وتشهد باستقامته مع الله، أو لتشهد بصواب شذوذه الجنسي، فالشيخ علي أبو خوذة المشهور بالتلوط مع الحبش السود على سبيل المثال، أراد السفر ذات مرة في مركب "فقالوا للريس إن اخذت هذا غرقت المركب لأنه يفعل في العبيد الفاحشة، فأخرجه الريس من المركب. فلما أخرجوه من المركب قال: يا مركب تسمري! فلم يقدر أحد يسيرها"[1]، والشيخ ابراهيم المتبولي أيضاً الذي آوى الغلام في خلوته "نام عنده – ذات مرة – جماعة من فقهاء الأزهر في بركة الحاج، فوجدوا عند الشيخ مملوكين أمردين من أولاد الأمراء ينامان معه في الخلوة، فأنكروا عليه ثم رفعوا أمره إلى الشرع بالصالحية، فأرسل القاضي وراءه فحضر فدخل الصالحية. فقال: ما لكم؟ فقال القاضي: هؤلاء يدعون عليك أنك تختلي بالشباب وهذا حرام بالشرع. فقال: ما هو إلا هكذا وقبض على لحيته بأسنانه وصاح فيهم، فخرجوا صائحين فلم يعرف لهم خبر بعد ذلك الوقت. ثم جاء الخبر أنهم أسروا وتنصروا في بلاد الإفرنج-. ورماه – مرة أخرى – أهل بيت من متبول باللواط مع ولدهم فقال: هتك الله ذراريهم. فمن ذلك اليوم – كما يقول الشعراني – صار أولادهم مخانيث

[1] - ص١٣٥ ج٢ الطبقات الكبرى

وبناتهم زناة إلى يومنا هذا. ورماه واحد أيضاً بفاحشة فقال له: سود الله نصف وجهك فصار له خد أسود وكذلك ذريته إلى وقتنا هذا"[1]. فالشيخ إذن يعطل المركب ويسمره وبإمكان كراماته أيضاً أن تنجيه من أحكام الشرع، وبإمكانه دفع أعدائه الباحثين عن شذوذه إلى الأسر والتنصر بل وبإمكانه أن يورث الزنا لمن اتهمه، وهكذا تخدمه الكرامة في كل أغراضه وشهواته اللاخلقية!

قد يُرى الشيخ في الزنا مع غلام أو امرأة، ولكن هذا في عين الرائي فقط لا على الحقيقة والواقع، فقد "قيل لأبي يزيد: ربما نرى عندك شبه النساء والرجال – أو الغلمان – فما هم؟ قال: هم ملائكة يأتوني ويسألونني عن العلم"[2]! فالرجل يخلو بالملائكة الذين يأتونهم على هيئة النساء والغلمان ليسألونه علوماً يجهلونها، وإنه لعذر أقبح من الذنب، فالملائكة تأتي لأخذ العلم من الصوفي؟!

---

[1] - ص١٨٥ ج٢ الطبقات الكبرى

[2] - ص١٢٥ شطحات الصوفية

ـ جمال الأمرد يذكِّر الصوفي بخالقه:

ومن جملة الحجج التي برأي المتصوفة تبيح لهم عشرة الغلمان قولهم: "إن التأمل أثناء الإنشاد للجمال الجسماني لهؤلاء الفتيان المرد يفيد في أن يثبت في النفس رؤيا الجمال ثم إن الإغراء الشهواني إذا تغلب عليه المرء قبل الموافقة، يمثل عندهم فضيلة زهدية يرضى عنها الله"[1]، وأبو الكميت الأندلسي يقول: "صحبت رجلاً منهم – أي من الصوفية – يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعاً فيصلي ما قدر له، ثم يعود فينام إلى جانبه، حتى فعل ذلك مراراً، فإذا أسفر الصبح أو كاد يصبح أوتر ثم رفع يديه وقال: اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى عليَّ سليماً لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت علي الحفظة فيه معصية، وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال تصدعت"[2]، وكذلك الشيخ الرازي كما مر معنا لم يسجل الله عليه معصية قط في صحبته للغلمان، فهذه الصحبة حسب نواياهم إنما هي للرياضات التي بها قهر النفس والتغلب على شهواتها للتقرب إلى الله!

إن رؤية الجمال تذكِّر الصوفية بقدرة الخالق سبحانه وتعالى، ومن توغل وتمعن في الجميل لا بد أنه الأقرب إلى الله وذكره من سواه "ومن

---

[1] ـ ص١٨٠ ابن عربي حياته ومذهبه

[2] ـ ص٢٦٩ تلبيس إبليس

أطرف مصطلحات الصوفية تكنيتهم للغلام بقولهم "شاهد" ويعني ذلك أنه لحسن صورته شهيد بقدرة الله عز وجل- وكذلك يقولون للغلام الصبيح "حجة""[1]، ولسان حالهم يقول: نحن قوم "لا ننظر نظر شهوة، وإنما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر"[2] إلى الحسان، وجزا الله ابن طاهر المقدسي خيراً عندما "صنف كتاباً في جواز النظر إلى المرد"[3]، والشيخ أبو الحسين النوري يقول حسب رواية السلمي: "رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه، ثم أردت أن أردد النظر. فقلت له: تلبسون النعال الصرارة وتمشون في الطرقات؟! قال: أحسنت! أتجمِّش بالعلم؟ "التي معناها الملاعبة وقرص المحبوب" ثم أنشأ يقول:

"تأمل بعين الحق إن كنت ناظراً   إلى صنعة فيها بدائع فاطر
ولا تعطِ حظ النفس منها لما بها   وكن ناظراً بالحق قدرة قادر" [4]

وارتباط الجمال بالقدرة والاعتبار أدى إلى ارتباط الجميل بالألوهية في الفكر الصوفي، حتى أن الدكتور زكي مبارك يرى أن عشق المتصوفة للغلمان كان من أسباب قولهم بالحلول ووحدة الوجود، "فالصور الجميلة – كما يقول – من أنفس العناصر في الوحدة الوجودية،

---
[1] - ص١٣١ التصوف بين الحق والخلق
[2] - ص٢٦٦ تلبيس إبليس
[3] - ص٢٦٦ نفسه
[4] - ص١٦٦ – ١٦٧ طبقات الصوفية

وربما كان التأمل فيها هو الذي ألهم الصوفية فتنة القول بالحلول أو القول بوحدة الوجود"[1]، وفي نفس المعنى يقول الشيخ علي السراج: "بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساماً حلَّ فيها بمعاني الربوبية، ومنهم من قال هو سبحانه حال في المستحسنات"[2].

[1] - ص١٦٦ ج٢ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق

[2] - ص٢٦٥ تلبيس إبليس

ـ بعض وجوه الشذوذ الجنسي عند الصوفية:

الصوفي الذي منع نفسه من الزواج وتربى على كبت غرائزه وإماتتها يثار جنسياً حتى من الحيوانات بل ويتهاوى أمام أبسط الفرص وأتفهها، ويروي الشعراني قائلاً: "بلغنا عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه دخل يوماً خربة يقضي فيها حاجته فوجد فيها حمارة فراوده الشيطان عليها فلما أحس الشبلي رضي الله عنه بذلك رفع صوته وصاح: يا مسلمون، يا مسلمون! الحقوني واخرجوا عني هذه الحمارة، فإني أعرف ضعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة"[١]. ولكن إن لم يصبر المتصوفة على إغراء الحمارة فكيف لهم الخلوة بالنساء والنوم مع المرد الحسان وكيف للناس أن يدفعوا إليهم أبناءهم؟!

والشعراني يروي قصة أخرى بمعرض حديثه عن مناقب وكرامات الشيخ المجذوب إلى الله وحيش الذي يفعل الفاحشة مع الحمير قائلاً: "كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره يركب حمارة ينزله عن الحمارة ويقول له: أمسك رأسها لي حتى أفعل فيها، فإن أبى تسمَّر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه- وقد أخبرتُ عن سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال: هؤلاء يخيِّلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة"[٢]. ولكن إن قلت التخييل سحر حسبما يقوله

---
[١] ـ ص١٠٠ ج٢ الطبقات الكبرى
[٢] ـ ص١٥٠ ج٢ الطبقات الكبرى

القرآن غضب عليك الصوفي واتهمك بمحاربة الله وإنكار الكرامات، ودفعك إلى قرن الشيطان، وهل بعد ذلك إلا المقارنة بين شذوذ الفاحشة وتعاطي السحر ولا تبرير إسلامي لهما.

إلا أن رواية ابن عربي أصرح من أن تحتاج إلى التأويل والمواربة، حيث يقول: لقد كان عندنا رجل صالح قليل العلم قد انقطع في بيته فاشترى حمارة لم تُعلم له حاجة إليها، فسأله بعض الناس بعد سنين وقال له: ما تصنع بهذه الحمارة وما لك حاجة إليها ولا تركبها؟ فقال: يا أخي ما اشتريتها إلا عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني. فقال له: إن ذلك حرام! فبكى وتاب إلى الله من ذلك وقال: والله ما علمت"[1] أن ذلك من المحرمات! ونِعم التربية الصوفية التي صنعت هذا الصالح الذي لا يعرف الحلال من الحرام سنين وسنين.

ويروي الشعراني أيضاً وجهاً آخر لشذوذ المتصوفة، فالشيخ عبد القادر السبكي صاحب الكرامات الشهيرة كما يقول: كان رضي الله عنه "عرياناً لا يلبس إلا قطعة جلد أو بساط أو حصير أو لباد يغطي قُبُله ودبره فقط"[2].

---

[1] - ص٤٩١ ج٤ بـ٥٦٠ الفتوحات. المكية

[2] - ص١٨٦ ج٢ الطبقات الكبرى

إلا أن الأخطر من معارضة الشرع كما أراه هو روايتهم لقصص الشذوذ ونشره وهي المؤيدة بخوارقهم ورضي الله عنهم! حتى أصبح لسان حال الناس يقول: كل ما يفعله صاحب الخوارق فهو مرضي عنه من الله ولا غبار عليه وإن نكح الحمير وزنى بالنساء والغلمان، ولو علم الناس أن الكرامات أو الخوارق منها ما هو رحماني لا علاقة له بالتصوف، ومنها ما هو عن سحر وشياطين، لخف المصاب ونجى الدين والمجتمع من قذارتهم.

ثم أنظر أيها القارئ العزيز إلى هذه الصورة الشاذة التي يرويها لنا الشيخ الشعراني عن ولي عظيم من أولياء التصوف المخلصين، ونتمنى لو نظر إليها وبأمثالها أصحاب التحليل النفسي، فربما أفادوا أمتنا حينئذ في التعرف على أعماق شخصية الصوفي وما تحمله من أمراض خطيرة، للحذر منها أو لعلاجه في أبسط الأحوال، "فالشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى- خطب مرة عروساً فرآها فأعجبته، فتعرى لها بحضرة أبيها وقال: انظري أنتِ الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك بدنه خشن أو فيه برص أو غير ذلك، ثم مسك ذكره وقال: انظري هل يكفيكِ هذا وإلا فربما تقولي هذا ذكره كبير لا أحتمله أو يكون صغير لا يكفيكِ فتقلقي مني وتطلبي زوجاً أكبر آلة مني"[1]. وتلك هي آداب

[1] - ص١٨٤ ج٢ الطبقات الكبرى

الصالحين في التصوف التي لا شيء فيها من الحياء، ولكن الصوفي قد استغنى بالعيان والمشاهدة عن الإيمان، ولا بد له من الاستقامة مع اختياره.

ليس من شيء لا تبرير له عند القوم، فهم يعذرونك على كل حال، فإن انحدر الصوفي نحو البغاء، ليعيش حياته بعيداً عن التصوف، قالوا: هذا في الظاهر، وما ترك التصوف والتحق بالباغية إلا لتتويبها، فالشيخ "يوسف العجمي رضي الله عنه أنه كان يصعق في حب الله تعالى فتضع الحوامل ما في بطنها من صعقته فحوَّل الله تعالى ذلك الحب إلى حب امرأة من البغايا، فجاء إلى الصوفية ورمى لهم الخرقة وقال: لا أحب أن أكذب في الطريق، إن واردي تحول إلى حب فلانة، ثم صار يحمل لها العود ويركبها "أي يزني بها" ويمشي في خدمتها، فبلغها ذلك فتابت ولزمت خدمته إلى أن ماتت"[١]. ولم يتزوجها!! بل يركبها!

وبينما كان نفر من المتصوفة ذات مرة "جلوس إذ جاءتهم امرأة من البغايا فقال لها الشيخ أبو بكر الحريري: ما تبغين؟ فقالت: ما يفعله الرجل بالمرأة. فقال لها: اذهبي إلى هذا الرجل يعني: سيدي محمد بن عنان- فأخذ

[١] - ص١٥٤ ج٢ نفسه

العكاز وقام لها فهربت فضحك الجماعة. فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: حتى تنظر إليها نظرة بحال تكون سبباً لتوبتها"[1]. فهي التوبة إذن!!

[1] - ص١٣٢ نفسه

ـ أولياء التصوف والخلوة بالنساء:

إن قصص خلوة الصوفي بالنساء كثيرة في بطون كتب التصوف، حتى أن "بلاثيوس" ربط هذه الظاهرة بمصدر مسيحي يعود إلى طريقة الأخوات الأغافيات وهن "الراهبات اللائي تعيش كل واحدة منهن في صحبة راهب"[١].

الصوفي يخلو بالمرأة الليل كله، ولتبرير هذه الظاهرة اتهم الشعراني الإمام الشافعي بهذا الفعل قائلاً: "ولما دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه مصر كان يتردد إلى السيدة نفيسة ويصلي بها التراويح في رمضان في مسجدها"[٢]، وكذلك استنطق المتصوفة سفيان الثوري رضي الله عنه حيث يقولون على لسانه: "كنت عند رابعة ذات ليلة، فصلت حتى مطلع الفجر، وصليت أنا كذلك. وفي الصبح قالت: علينا أن نصوم شكراً على هذه الصلوات التي أقمناها الليلة. وهو الذي رفضته حين خطبها لنفسه، فكيف وكيف؟ لست أدري. واستنطقوا أيضاً الحسن البصري رضي الله عنه وهو القائل على ذمتهم: "بقيت يوماً وليلة عند رابعة نتحدث عن الطريق وأسرار الحق بحرارة بلغت حداً نسينا معه أنني رجل

[١] ـ ص١١٨ ابن عربي وحياته الروحية. هامش.
[٢] ـ ص٦٨ ج١ الطبقات الكبرى

وأنها امرأة"[1]. حتى وكأن لا وجود للشيطان لقوله ﷺ: "ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما".

الخلوة بالنساء أمر مألوف عند المتصوفة والداراني حسب رواية الغزالي يقول: "بتُّ ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها وقمت أنا إلى ناحية من البيت، فلم تزل قائمة إلى السحر، فلما كان السحر قلت: ما جزاء من قوَّانا على قيام هذه الليلة؟ قالت: جزاؤه أن نصوم له غداً"[2]، والشيخ محمد الشناوي "كان رضي الله عنه يلقن الرجال والنساء والأطفال ويرتب لهم المجالس في البلاد"[3]، "وطلع – هذا الشيخ – مرة لابنة الخليفة في قصرها فلقنها الذكر ولقن جواريها، ووقعت عصائبهن من كثرة الاضطراب في الذكر، فلما نزل قال: الحمد لله الذي ما كان هناك أحد من المنكرين على هذه الطائفة"[4]، وللمتصوفة من أجل الخلوة بالنساء حيل طريفة، منها إيجادهم لمصطلح خطبة الأخوة، فالولي علي بن غلس اليماني يقول عن الولية ست الملوك: "فخطبتها للأخوة فأجابت"[5]، وبذلك حسب زعمه حل له الخلوة معها! ونفس الحيلة يستخدمها الصوفي لصحبة

---

[1] - ص٣٤ رابعة العدوية
[2] - ص٤١٥ ج٤ إحياء علوم الدين
[3] - ص١٣٢ ج٢ الطبقات الكبرى
[4] - ص١٣٣ نفسه
[5] - ص١٣٥ سير الأولياء

الجنيات، فالشيخ عبد الملك يعقد خطوبته على صبية من الجن "ولم يكن لهما مقصود سوى جواز الصحبة"[١].

وعندما رأى أحدهم الشيخ محمد العدل يحسس على بطن امرأة أجنبية في خلوته قال الشيخ: "والله ما قصدتها بشهوة"[٢]. ولكل امرئ ما نوى!!

وكان الشيخ محمد "الشويمي رضي الله عنه يدخل بيت الشيخ يحسس بيده على النساء! فكن يشكون عليه لسيدي مدين الأشموني رضي الله عنه. فيقول: حصل لكم الخير فلا تشوشوا"[٣]. فللمسألة برأيه أسرار لا علاقة لها بالشرع، وإياكم يا أهل الظاهر والغلط، فقد "دَخَلَتْ على الشيخ شمس الدين الحنفي ذات مرة امرأة أمير فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه فأنكرت بقلبها عليه فلحظها الشيخ بعينه وقال لها: انظري! فنظرت فوجدت وجوههن عظاماً تلوح والصديد خارج من أفواههن ومناخرهن كأنهن خرجن من القبور. فقال لها: والله ما أنظر دائماً إلى الأجانب إلا على هذه الحالة. ثم قال للمنكرة: إن فيك ثلاث علامات: علامة تحت إبطك وعلامة في فخذك وعلامة في صدرك. فقالت: صدقت والله إن زوجي لم يعرف هذه العلامات إلى الآن واستغفرت وتابت"[٤]. أي:

---

[١] - ص١٠٥ نفسه
[٢] - ص١٣٢ ج٢ الطبقات الكبرى
[٣] - ص١٠٣ نفسه
[٤] - ص٩٥ ج٢ نفسه

وبالكرامات أو السحر ينجو الرجل من أحكام الشكوك والشريعة أو من العقل والدين.

ومما يشير إلى هوس الصوفي جنسياً ما روي في زهر الآداب والكشكول وروضة المحبين أن أبا حازم الصوفي رأى في الحج امرأة حاسر قد فتنت الناس بحسن وجهها "فقال لأصحابه: تعالوا ندعُ لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله بالنار، فجعل أبو حازن يدعو وأصحابه يؤمِّنون"[١]. فتلك أفضل حيلة فعلها لإدامة النظر إليها، فانظر كيف ترك الحج وراح يدعو للمرأة- فتأمل"[٢].

[١] - ص١٦٧ ج٢ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق
[٢] - ص٢١٤ الصوفية في نظر الإسلام

- ابن عربي بين النسوان والغلمان:

لقد شبب ابن عربي كثيراً بمحبوبته "نظام" ابنة الشيخ مكين، وكان ديوانه "ترجمان الأشواق" لحناً بثَّ فيه شيخنا أنين الحب ولوعة الفراق ولم يكن له تلك الأحاسيس بالفعل لولا الصحبة التي دامت بينهما طويلاً، وها هو نفسه يقول: "فراعينا في صحبتها كريم ذاتها"[١].

ولم تكن صحبة ابن عربي قاصرة على الفاتنات فحسب، بل كان من جملة شيوخه الوليات من النساء، منهم حسبما يقول: "شمس أم الفقراء بمرشانة الزيتون- وفاطمة بنت أبي المثنى بأشبيلية- "التي قال فيها: كنت إذا قعدت معها استحيي أن أنظر إلى وجهها من عظيم تورد وجنتيها ونعمتها وهي في سن التسعين سنة"[٢]، "وهي في هذا السن- تحسبها بنت أربع عشر سنة من نعمتها ولطافتها، وكان لها حال مع الله"[٣]، وقد صحبها ابن عربي كما يقول "سنتين متتاليتين، مريداً وخادماً، وعاش معها عيشة طاهرة في كوخ من القصب، بناه هو نفسه في أرباض أشبيلية ليقود حياة العزلة ويشاهد عن قرب الظواهر العجيبة التي كانت تظهر عنها

---

[١] - ص٥٨ ابن عربي حياته ومذهبه
[٢] - ص٨٤ روح القدس في محاسبة النفس
[٣] - ص٢٧ ابن عربي حياته ومذهبه

كحضور الجن حين تدعوهم في مظهر جسماني أو بغيره"[1]. أو كتجسد فاتحة الكتاب بين يديها لتخدمها فيما تشاء من خدمات.

ابن عربي في قصته المخزية مع "نظام" حاول الاختفاء وراء ستار الرمز بدافع من الخشية والتقية رغم الضنا الذي يفضح عشقه، ولكنه مع الوليات لا نراه محتاجاً للرموز والتلاعب بالألفاظ لتبرير صحبته لهن، فللرجل رأيه الخاص في الحب الذي به التلاؤم وطبيعة أفكاره ومذهبه، فهو أولاً من المحبين للنساء إلى حد الوله شأنه في ذلك شأن كل العارفين من أهل التصوف، وفي ذلك يقول: "فحنين العارفين إليهن حنين الكل إلى جزئه- فحبهن فريضة واقتداء به عليه السلام- أترى حُبِّب إليه ما يبعده عن ربه؟ لا والله- والأشياخ لا يسألون ولا يقتدى بأفعالهم"[2]، "فالنساء لنا عرش-."[3]، "ولو لم يكن في شرف النساء إلا هيئة السجود لهن عند النكاح، والسجود أشرف حالات للعبد في الصلاة"[4] لكفاهن شرفاً وقدراً.

والفكرة اليونانية "فكرة الحب لذاته التي استخدمها فلاسفة اليونان لتبرير ظاهرة حب الغلمان، استخدمها أيضاً ابن عربي في إيجاد هذه الصلة حيث شدد على أفضلية ربط الجنس بعدم الإنجاب قائلاً: "حببهن الله إليه مع قلة أولاده ﷺ فلم يكن المراد إلا عين النكاح مثل نكاح أهل

---

[1] - ص٢٧ نفسه
[2] - ص١٩٠ ج٢ بـ١٠٨ الفتوحات المكية
[3] - ص٥٠١ ج٣ بـ٣٨٠ نفسه
[4] - ص٢٥٦ ج٣ بـ٣٥٦ نفسه

الجنة لمجرد اللذة لا للإنتاج"[1]. وبالطبع فإن نكاح الغلمان مضمون الشبه لنكاح أهل الجنة حيث ورد – كما يقول – أن في وجوه الغلمان لمحات من الحور العين"[2].

الغلمان يشبهون النساء ولا غرابة برأيه في حبهم وصحبتهم "ولولا الشبه الذي ظهر في الغلمان بالإناث ما حن إليهم أحد، فالحنان إنما وقع على الحقيقة للأنثى إما بالحقيقة أو بالشبه، ولهذا إذا بقل وجه الغلام وطرَّ شاربه رحلت المودة والرحمة التي كانت توجب السكون إليه"[3]. وليس هذا فحسب بل إن صحبة المردان والتأمل فيهم تذكِّر بالله وقِدمه من جهة، وتمثل للعارف مقام التجريد على العيان من جهة أخرى، وبذلك يكون الوصول إليه تعالى، وهل من بدعة حسنة أعظم بمعانيها من ذلك؟ فللعارف معهم كما يقول شأن لا كشأن غيره "فينظر العارف في المردان من حيث أنه أملس لا نبات بعارضيه. فذكره مقام التجريد وأنه – أي الأمرد أحدث عهد بربه من الكبير. وفي صحبتهم تذكر حدثهم ليتميز قدمه تعالى به – أي بالأمرد – فهو اعتبار صحيح وطريق موصلة. "إلى الله" فهكذا نظروا العارفين فيه. وأما المريدون فحرام عليهم صحبة الأحداث لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم"[4]، فهؤلاء "بخلاف الكمل من

---

[1] - ص٢٤٣ ج٤ بـ٥٥٨ نفسه. حضرة الشكر
[2] - ص٥٩٢ الروحية عند محيي الدين ابن عربي
[3] - ص٥٩١ نفسه
[4] - ص١٩٠ ج٢ بـ١٠٨ الفتوحات المكية

الرجال. فإن الكامل إذا رأى الأمرد أملس لا نبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وأنه "أي الأمرد" حديث عهد بربه كالمطر. هذا مشهد الكمل"[١]. فليس للمريد صحبة النساء والغلمان، وليس من حقه تقليد المشايخ، "فالأشياخ لا يُسألون عما فعلوا ولا يقتدى بأفعالهم. فإن أحوال الناس تختلف"[٢]. فللمسألة أسرار وأين الواصلين من المريدين إن لم يكن الفرق بينهما كما الفرق بين الإنسان الكامل والإنسان الحيوان.

ليس عبثاً تمجيد الصوفي لصحبة الغلمان ونكاحهم، فعلم النفس التحليلي في أيامنا هذه يقول: "إن الجنسية المثلية مرتبطة بالإغماء، وهذا يعني – كما يقول زيعور – أن الإغماء عند الصوفي – أو الفناء والغيبوبة يخفي بالفعل وجود الجنسية المثلية فيه"[٣]، و"فقدان الوعي قد يكون – كما يقول التحليل النفسي – تعبيراً عن ميل الرجل إلى جنسه"[٤]، وما بالك إن علمت أنه لا تصوف ولا وجد إلا وهو المشروط بالفناء حتى أن الفناء المرتبط بالجنس نراه واضحاً في فكرة الفناء في الشيخ وضوحه عند ابن عربي القائل في معرض حديثه عن منزل الألفة: أن الولي "يعلم لماذا كان العشق من الإنسان لجارية أو غلام بحيث أن يفنى فيه"[٥]،

[١] - ص١١٠ ج١ الكبريت الأحمر
[٢] - ص١٩٠ ج٢ بـ١٠٨ الفتوحات المكية
[٣] - ص١٤٩ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم
[٤] - ص٢٠٨ نفسه
[٥] - ص٦٠٦ ج٢ بـ٢٧٨ الفتوحات المكية

ويستخدم ابن عربي أيضاً مصطلح "الوجد" ليربط بين الفناء والألوهية حيث يقول أن العارف ربما "تعشَّق بجارية أو غلام- فأصابه وجد وغلب عليه الحال لتعلقه بذلك الشخص الذي في نفسه فيتحرك ويصيح ويتنفس الصعداء ويقول: الله الله أو هو هو"[١]، ويستشهد أيضاً بقصة الشيخ روزبهار الذي أله محبوبته المغنية عبر مواجيده، والحقيقة أن الصوفي كما رأينا يدرك جيداً ما يعنيه الجنس بالنسبة للفناء الذي يمثل عتبة الوصول مع الكائنات الأخرى، وبوعي تام كان إدراكه لدور المثلية في تحصيله، حتى كان سعيه إليها بهذا الشكل المخيف دون حياء ولا خجل.

ولكن ما هي الأسس الفلسفية في قضية عشق الغلمان وصحبتهم؟ من المعلوم أن ابن عربي اعتمد على الحديث الغنوصي الذي يقول: "خلق الله آدم على صورته" ليربط نسب الإنسان الكامل بالله، وبرهانه على ذلك حب الرجل للغلمان من جنسه، وفي ذلك يقول: "واعلم أنه لا يستغرق الحب المحب كله "عند العارف" إلا إذا كان محبوبه: الحق تعالى – الذي هو على صورته أو أحداً من جنسه جارية أو غلام"[٢]، بل وقال أيضاً:

"عشقت وما أدري الذي قد عشقته أخالقي المحبوب أم هو من شكلي"[٣]

[١] - ص٣١٥ ج٢ بـ١٧٧ نفسه
[٢] - ص٣٢٥ ج٢ بـ١٧٨ نفسه
[٣] - ص٣٢٤ ج٢ بـ١٧٨ نفسه

فليس من فرق في عشقه إن كان لله أو للأمرد طالما الاثنان على صورته تعالى، وتحصيل الفناء كما يقول مرتبط بهذه المثلية، فالتذاذه – أي العارف – بمن هو على صورته أشد التذاذ. ولا تسري المحبة والعشق في طبيعة روحانية إلا إذا عشق جارية أو غلاماً. فلذلك لا يفنى في شيء يعشقه إلا في مثله"[1]. فالفناء مرتبط بالمثلية أو بالجنس، هذا ما يقرره الأولياء، وبهذا كانت ضرورة الغلمان في رياضات القوم التي لها إيجاد السمو الروحي للوصول إلى الله عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون!

وبعد إشارة ابن عربي إلى فضائل عشق الغلمان انطلق إلى علاقة الإنسان الكامل بالله الذي هو على مثاله أو صورته قائلاً: "وقد جعل الله له – أي للإنسان الكامل أو الولي الصوفي – مثالاً في باب المحبة، فعشق إليه ما عشق من العالم من أي شيء كان من فرس أو دار أو دينار أو درهم، فما قابله به إلا بالجزء المناسب ففني منه ذلك الجزء المناسب لعشقه في ذلك وبقي سائره صاحياً لا حكم له فيه إلا إذا عشق شخصاً مثله جارية أو غلام فإنه يقابله بذاته كلها وبجميع أجزائه، فإذا شاهده فني فيه بكله لا بجزء منه فيغشى عليه وذلك لكونه قابله بكله كذلك العبد – أو الإنسان الكامل إذا رأى الحق أو تخيله فني فيه عند مشاهدته لأنه على

---

[1] - ص١٨٩ ج٢ بـ١٠٨ نفسه

صورته فيقابله بذاته فما بقي فيه جزء يصحو"[1]. فعشق الأشياء إذن جزئي وعشق المثل إن كان مع الله أو الغلام والجارية فهو كلي وبه يكون الفناء التام!

فعشق الغلمان في الفكر الصوفي يؤدي إلى الروحانية إلى الوصول بل إن إيجاد الروحانية مشروطاً به، والتأمل بالغلام الأمرد على التحديد إن كان عارياً سيؤدي إلى إدراك شبه مقام التجريد عياناً وسوف يؤدي إلى تعزيز الاعتقاد أو الإيمان بقدم الله تعالى وليس أعظم من عشق الغلمان والجواري أو القاصرات في الدلالة على الفناء، بل هو المثال للفناء الكلي في الله أو أحد أحواله التي منها إدراك أحوال أهل الجنة في نكاحهم البعيد عن الأعواض والإنجاب والمتاعب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[1] - ص٤٠٩ ج٣ بـ٣٧٠ نفسه

ـ الإنكار الصوفي لظاهرة عشق الغلمان:

ولكن هل من الممكن اعتبار صحبة النسوان وعشرة الغلمان من الرموز التي يستخدمها الصوفي في أسلوبه الغامض عندما يرغب في عرض أذواقه ومواجيده وما لديه من أفكار؟ بالطبع لا، وإلا لما جاهد بعض مشايخ التصوف بكل ما لديهم من قوة منهجية لمحاربة أمثال هذه الظواهر في البيئة الصوفية، فلو كان الأمرد رمزاً لما رأيت أحداً منهم له هذا الاعتراض وكيف يكون وهم أهل هذا الفن وأصحابه!

التصوف طريق وليس كل السالكين واصلون، وهذا ما لا يجب أن ننساه وكل واحد منهم أي من المتصوفة يتكلم عن أحواله وتجربته، فهم أبداً بين سالك وواصل، ومن لم يكن له ذوق أثناء الفناء فهو العاجز عن ربط الفناء في الله والأمرد، وهؤلاء العاجزون في نظر الواصل هم الذين هبوا لمقاومة الخلوة بالنسوان ومطاردة الغلمان لا لعجزهم عن إدراك الرمز وإنما لأنهم لم يصلوا بعد ولا ذاقوا الفناء التام ولا أدركوا حقيقة تجلياته تعالى.

يقول الشيخ أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي: "نظرت في آفات الخلق، فعرفت من أين أتوا. ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد، وأرفاق النسوان"[1].

---

[1] ـ ص١٩٠ طبقات الصوفية، ص٩٠ ج١ الطبقات الكبرى، ص٢٢ الرسالة القشيرية

فاللواطة وصحبة النسوان من سمات الشخصية الصوفية والغريب اعتباره لهذه السمات من الآفات وهو المعترف بعجز توبته أمام الجمال وغنج العيون. أما القشيري فيقول في تحفظ ملحوظ: "ومن شأن المريد بل من طريقة سالكي هذا المذهب ترك قبول رفقة النسوان"[١]. وهل يعني هذا أن مشايخ المتصوفة الذين لهم معشر مع النسوان والغلمان برأيه خارجون عن الطريقة؟ بالطبع لا، والتمييز بين الواصل والمريد السالك يخرجه من هذا الإلزام، والسالكون حتماً مختلفون عن الواصلين، ونهيه هذا غير شامل إلا للسالكين لا للواصلين.

والشيخ ابراهيم الدسوقي هو الآخر هاجم حيل المتصوفة التي تبيح لهم الخلوة بالنساء، كما هاجم مصطلحاتهم التي تبيح النظر إلى الغلمان، وكذلك هاجم قحتهم الجريئة في مطاردتهم وصحبتهم في الحل والترحال قائلاً: "إياكم ومؤاخاة النساء وإطلاق البصر في رؤيتهن والقول بالشاهد والمشي مع الأحداث في الطرقات"[٢]، والشاذلي صاحب الغراميات الشهيرة مع الغلمان "يقول: إياكم وصحبة الأحداث والنساء"[٣]. وبالطبع فحديثه هذا موجه للمريدين وإلا لنهى نفسه قبل غيره حتى لا يكون على الأقل ممقوتاً من ربه، وما الذي سيفيدنا الشيخ أحمد الرفاعي بقوله:

[١] - ص١٨٦ الرسالة القشيرية
[٢] - ص١٦٧ ج١ الطبقات الكبرى
[٣] - ص٧٧ ج٢ نفسه

"فليعلم الحاضر الغائب: من خلا بامرأة أجنبية غير ذات محرم له بشهوة فأنا بريء منه. وسيدي منصور بريء منه والمصطفى بريء منه"[١]. إلا أن الواصل الذي لم يعد له شهوة شيطانية تبعاً لهذا القول يحق له الخلوة مع النساء، وأي نهي وإنكار بعدها هذا الذي يقول به!

أما الشيخ أبو القاسم النصر أباذي فقد اتجه على ما يبدو بنقده إلى عمق أبعد غوراً من سواه حيث قيل له: "إن بعض الناس يجالسون النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن. فقال: ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب بهما. ولن يجترئ على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات"[٢]، أو "إلا من تعرض للمحرمات"[٣]، "لا سيما العزاب"[٤]. فلا عصمة برأيه مزعومة للخلوة بالنساء حتى ولو كانت إحداهن في سن التسعين فما بالك إن كانت وهي في هذا السن آية من آيات الجمال؟ إذن لا بد أن صحبتها أو إباحة الخلوة معها كما يقول الشيخ مضفر القرميسيني من الخسة حيث كان يقول: إن "أخس الفقراء قيمة من يقبل رفق النسوان على أي حال كان"[٥]. ورضي الله عن الشيخين مضفر وابن عربي فسبحان من تختلف تجلياته على عدد خلقه!

---

[١] - ص١٧٨ قلادة الجواهر
[٢] - ص٤٨٧ طبقات الصوفية
[٣] - ص٣٠ الرسالة القشيرية
[٤] - ص١٢٣ ج١ الطبقات الكبرى
[٥] - ص١١٣ ج١ الطبقات الكبرى، ص٣٩٦ طبقات الصوفية

الغزالي في نهيه عن التأمل في الأمرد وصحبة الغلمان يتجه قريباً هو الآخر إلى صلب الموضوع. فقد رأى أن الآفة تدخل إلى النفس بالتدريج ابتداءً من إمعان النظر إلى الميل الخفيف نهاية بالغرام والعشق المؤدي إلى المطاردة حيث يقول: "الذي ينظر إلى وجه حسن مثلاً فيميل إليه ميلاً ضعيفاً لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه"[١]. ونتمنى لو أن الغزالي اتجه بنقده إلى نقاش الرياضات التي تتخذ الرهبنة والتبتل وعدم الزواج طالما هي المسؤولة عما في الصوفي من لواعج وشذوذ جنسي، ولكن الذي كرس الرهبنة وانتصر لها غير قادر على ترك التصوف رغم أنه حسب ابن عربي قد مات دون أن يتجاوز السلوك البعيد عما يعنيه الوصول.

والشيخ مضفر القرمسيني الذي ليس لديه متسع لتبرئة المصاحب للأحداث ما زال مصراً على موقفه، "فمن صحب الأحداث – برأيه – على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك إلى البلاء فكيف بمن صحبهم على غير شروط السلامة؟!"[٢]، والواسطي يقول: "إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف. يريد صحبة الأحداث"[٣].

---

[١] - ص٣٦٧ ج٤ إحياء علوم الدين

[٢] - ص٣٩٦ طبقات الصوفية، ص١١٣ ج١ الطبقات الكبرى

[٣] - ص٢٤ الرسالة القشيرية

وللمتصوفة في منهجهم طرق أخرى في هذا الصراع، فالشيخ أبو يعقوب الطبرى يستخدم أحاديثه القدسية عن ربه في إعلان الحرب على ظاهرة صحبة الغلمان المرد، إذ يقول: "فنمت ليلة من الليالي فرأيت رب العزة في المنام، فقال: فوعزتي أني لا أشغل بالأحداث إلا من باعدته عن قربي"[1]. فصحبة الأحداث برأيه ليست من الطرق الموصلة إلى الروحانية إن لم تكن شيطانية.

والشيخ منصور بن إسماعيل حسب رواية الغزالي يستخدم هو الآخر قالب الحلم لينهي المتصوفة عن إمعان النظر في المرد الحسان قائلاً: "رأيت عبد الله البزار في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فإني استحييت أن أقر به، فأوقفني في العرض حتى سقط لحم وجهي. فقلت: ما كان ذلك الذنب؟ قال: نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره"[2].

أما الشيخ يعقوب النهرجوري فقد تبرع للقوم بحكاية لعلها تمنعهم عن صحبة الغلمان قائلاً: "رأيت في الطواف إنساناً بفرد عين – أي أعور – وهو يقول: أعوذ بك منك. فقلت: ما هذا الدعاء؟ فقال: اعلم أني مجاور منذ خمسين سنة فرأيت يوماً شخصاً استحسنته فإذا لطمة وقعت على

[1] - ص٢٧٧ تلبيس إبليس
[2] - ص٥٠٧ – ٥٠٨ ج٤ إحياء علوم الدين

عيني فسالت على خدي فقلت: آه. فقيل لي: لحظة بلطمة ولو زدت لزدناك"[1].

ولم ينس بعضهم حشد القبور وكرامات الأولياء الموتى في صراعه لمنع نكاح المتصوفة للغلمان، فقد "حكي أن شخصاً من المتصوفة – أراد أن يفعل الفاحشة في أمرد في مقبرة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، فصاح الشيخ من داخل القبر: أما تستحي من الله يا فقير"[2] أي: يا صوفي! وليست أحاديث الصوفي القدسية ولا مناماته الهادفة ولا عقابه اللدني ولا قبور أوليائه بما تميزت به من خوارق هم آخر الأسلحة في جعبته حتى رأيناه وقد اندفع إلى إبليس مستعيناً به على صدق آرائه، والشيخ أبو سعيد الخراز الذي كان له من جملة مريديه "فاطمة" "المعروفة بجويرية"[3] يقول: "رأيت إبليس في النوم، وهو يمر عني ناحية، فقلت له: تعال! فقال: إيش أعمل بكم! أنتم طرحتم من نفوسكم ما أخادع به الناس. فقلت: ما هو؟ قال: الدنيا! فلما ولى عني، التفت إلي وقال: غير أن لي فيكم لطيفة! قلت: ما هي؟ قال: صحبة الأحداث. قال أبو سعيد: وقلَّ من يتخلص من هذا في الصوفية"[4].

---

[1] - ص٦٨ ج٢ الفتح الإلهي، ص٢٧ الرسالة القشيرية
[2] - ص١٦٢ ج١ الطبقات الكبرى
[3] - ص٦٠ عوارف المعارف
[4] - ص٢٧٦ – ٢٧٧ تلبيس إبليس، ص٢٣ الرسالة القشيرية، ص٢٣٢ طبقات الصوفية، ص٢١٦ دراسات في التصوف الإسلامي

ولكن ما الذي اضطر إبليس ليبوح بأسراره التي يصطاد بها المتصوفة أهل الله، فهل حباً بهم ونصيحة لهم؟! إلا أن الخراز نفى ذلك عندما قرر أن ولع المتصوفة بالغلمان أمر يصعب التخلص منه لأنه بالفعل كائن عن منهجهم بالرياضات والتربية وسيان عندها إن أباح إبليس بالسر أو كتمه طالما لا تصوف بلا رياضات.

- المراجع:

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الإبريز:** أحمد المبارك، تحقيق: محمد عدنان الشماع ج١ ط١ ١٩٨٤، ج٢ ط١ ١٩٨٦.

٣. **ابن سبعين وفلسفته الصوفية:** د. أبو الوفا التفتازاني ط١ ١٩٧٣ دار الكتاب اللبناني.

٤. **ابن عربي حياته ومذهبه:** أثين بلاثيوس، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي ١٩٧٩.

٥. **إحياء علوم الدين:** أبو حامد الغزالي.

٦. **أشرف الوسائل:** محمد أبو الهدى الصيادي ط١ ١٣٨٩، تحقيق عبد الحكيم عبد الباسط.

٧. **الإنسان الكامل في الإسلام:** د. عبد الرحمن بدوي ط٢ ١٩٧٦.

٨. **الأنوار القدسية:** عبد الوهاب الشعراني، هامش: الطبقات الكبرى، المكتبة الشعبية.

٩. **إيقاظ الهمم في شرح الحكم:** أحمد بن عجيبة ط١ ١٩٨٦.

١٠. **أيها الولد:** أبو حامد الغزالي، القصور العوالي ج١ مكتبة الجندي.

١١. **التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس:** عبد القادر أحمد عطا ط١ ١٩٨٧.

١٢. **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق:** د. زكي مبارك، دار الجيل.

١٣. **التصوف الإسلامي في شعر ابن الفارض:** تحقيق: حامد الحاج عبود ط١ ١٩٨٨.

١٤. **التصوف الثورة الروحية في الإسلام:** د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب، بيروت.

١٥. **التصوف بين الحق والخلق:** محمد فهر شقفة ط٢ ١٩٧٠.

١٦. **التصوف بين الحق والخلق:** محمد فهرشقفة ط٢ ١٩٧٠.

١٧. **التصوف قدرات وطاقات:**

١٨. **تلبيس إبليس:** عبد الرحمن ابن الجوزية، ط٢ ١٣٦٨ هـ.

١٩. **حقائق عن التصوف:** عبد القادر عيسى ط٢ ١٩٧٠.

٢٠. **الحلاج شهيد التصوف الإسلامي:** طه سرور ط٢.

٢١. **رابعة العدوية:**

٢٢. **الرسالة القشيرية:** عبد الكريم القشيري ١٩٧٥.

٢٣. **روح القدس في محاسبة النفس:** محيي الدين ابن عربي، مكتبة الوكيل.

٢٤. **الروحية عند محيي الدين ابن عربي:** د. علي عبد الجليل راضي.

٢٥. **سر العالمين:** أبو حامد الغزالي، دار الشباب.

٢٦. **سير الأولياء:** صفي الدين الحسني، تحقيق مأمون ياسين، وعفت حمزة ط١.

٢٧. **شطحات الصوفية:**

٢٨. **الصلة بين التصوف والتشيع:** د. كامل مصطفى الشيبي ط٢.

٢٩. **الصوفية بين الأمس واليوم:** د. سيد حسين نصر، ترجمة د. كمال اليازجي ط١ ١٩٧٥.

٣٠. **طبقات الصوفية:** عبد الرحمن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة ط٣ ١٩٧٦.

٣١. **الطبقات الكبرى:** عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر.

٣٢. **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف:** د. علي زيعور ط١ ١٩٧٩.

٣٣. **عوارف المعارف:** السهروردي، هامش إحياء علوم الدين.

٣٤. **الغنية لطالب طريق الحق:** عبد القادر الجيلاني.

٣٥. **الفتح الإلهي:** السهروردي، هامش إحياء علوم الدين.

٣٦. **الفتح الرباني:** عبد القادر الجيلاني، تحقيق: محمد سالم البواب، دار الألباب.

٣٧. **الفتوحات الإلهية:** السهروردي.

٣٨. **الفتوحات المكية:** محيي الدين ابن عربي، مكتبة الثقافة.

٣٩. **في التصوف الإسلامي وتاريخه:** رينولد نيكولسن، ترجمة د. أبو العلا عفيفي.

٤٠. **قلادة الجواهر:** محمد أبو الهدى الصيادي.

٤١. **الكبريت الأحمر:** عبد الوهاب الشعراني، هامش: اليواقيت والجواهر.

٤٢. **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم:** علي زيعور ط١ ١٩٧٧.

٤٣. **مدخل إلى التصوف الإسلامي:** د. أبو الوفا التفتازاني، ط٢ ١٩٧٦.

٤٤. **منهاج العارفين:** أبو حامد الغزالي، القصور العوالي ج١ مكتبة الجندي.

٤٥. **مواقع النجوم:** محيي الدين ابن عربي، مطبعة محمد صبيح ١٩٦٥.

٤٦. **ميزان العمل:** أبو حامد الغزالي، مطبعة حجازي ١٩٦٣.

- الفهرس: